الكتاب الأخضر

سلسلة فكرية عقائدية في النظرية العالمية الثالثة

التمور
1424
ميلادية

علي مفتاح قنون

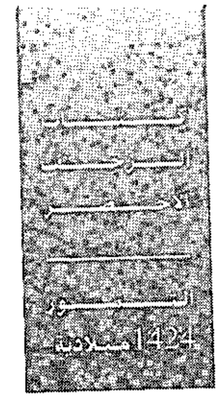
في الانتماء الثوري





الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

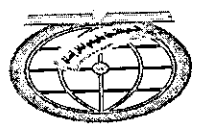
في الانتماء الثوري



علي مفتاح قنون

في الانتماء الثوري

Oct 1995



الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

سرت: ص.ب. 921 ـ مبرق: 30098 مطبوعات ـ ناسوخ: 62100 ـ 054

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الأولى: التمور 1424 ميلادية

رقم الإيداع: 2072 / 1424 ميلادية ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي

المحتويـات

مقدمـــة

هذا الكتاب هو محاولة متواضعة من أجل الإسهام بشيء في إثراء الثقافة الثورية الجماهيرية الجديدة التي بشرت بها النظرية العالمية الثالثة.

وعلى الرغم من أن كل القضايا والموضوعات التي تناولها هذا الكتاب قد نشرت في صحيفة الزحف الأخضر التي تصدرها اللجان الثورية، لكن يظل من المفيد أكثر جمع هذه المقالات لتشكل في مجملها قضايا هامة تهم كل ثوري مؤمن بالأطروحات الفكرية التي جاء بها الكتاب الأخضر.

وحاولت قدر الإمكان بعد جمع هذه المقالات أن أوحد موضوعها وهو الانتماء.. لأنه الجوهر والأساس في سلسلة المفاهيم والقيم الثورية. ورغم أن الإنسان كائن منتمٍ دائماً وبطبيعته منذ أقدم العصور مهما كانت أشكال

انتمائه السلبية منها والإيجابية. لكن يبقى الانتماء للثورة هو الأصل.. لأن الثورة هي في الأصل عقيدة وانتماء.. روح وعقل.. إيمان ومبدأ.. حق وواجب.. تغيير وتجذير. تغيير للواقع المرير وتجذير لعصر الجماهير.

علي مفتاح قنون

المبحث الأول

في الانتماء الثوري



الإنسان حرية مبررة بالانتماء

ليس يسيراً أن يختار الإنسان ذلك، ليس عليه أن يحدد موقفاً.. أن يضع نفسه في قضية، أن يقرر مصيره وبشكل نهائي.. وبالتالي فهو ملزم بتحمل مسؤولية اختياره.. وهذا يفرض عليه أن يعتمد عقله، أن يفكر بوعي وتأمل قبل أن يخطو خطواته الحاسمة ليقطع صلته بكل ماضيه، وينحاز وبشكل تام إلى وضعه الجديد.. وعلى هذا الأساس فلا يعتبر ضياعاً ذلك الوقت الذي يسبق الاختيار ما دام منصباً على الاختيار ذاته، فنحن لا نختار لمجرد الاختيار، ولكننا نطمح في «انتمائنا» إلى تحقيق وجودنا إنسانياً، متكاملاً من خلال إرادة التعبير عن ذواتنا.. فالإنسان في حقيقته إرادة حرة واعية وبالتالي فهو انتماء فمثلاً: أنا أنتمي لأني أريد، وأريد لأنني حر واعٍ، وهذه هي إنسانيتي الحقيقية.. فلا انتماء حقيقياً بدون إرادة، والإرادة «مجردة عن الحرية».

فإذا لم يتحقق ذلك تظل لفظة خاوية لا تعني أكثر من حروفها.. والحرية ذاتها إذا جردت عن الوعي تبقى عبثاً طائشاً لا جدوى منه، فلست حراً في اختياري ما لم أكن مدركاً ما أختار، ولا يمكن أن أعتبر واعياً بدون إرادة. فلأنه حر، هو يريد حين يرفض ويرفض لأنه يريد.. فهو إذن يريد حتى في موقف الرفض، ونحن حين نسلبه إرادته نقتله، نقضي عليه لأننا بذلك نلغي حريته شرط حياته ومبرر وجوده الأول. ونحن نمارس عملية الاختيار في واقع حياتنا يومياً.. بل في كل لحظة وبشكل دائم، فنحن نختلف في أزيائنا وألوان ثيابنا، وإقبالنا على صنف معين من الطعام والشراب، وفي انتسابنا إلى مرافق اجتماعية معينة وارتيادنا لها دون غيرها، ونحن نؤثر لوناً أو شكلاً فنياً على غيره من الأشكال الفنية الأخرى، كما نميل لقراءة مؤلفات كاتب أو جملة كتب ونعجب بشاعر أو بشعراء معينين.

وهذه بطبيعة الحال، المواقف التي تشكل اختياراً أو انتماء معيناً مهما كانت بساطته ودرجة خطورته.. ومن هذا الفهم نخلص إلى أن الإنسان انتماء مدعم بحرية واعية، وهو بمعنى آخر حرية مبررة بالانتماء، فهو في فهمنا لا

يكون إلا في قضية، وإلا حين يطرح نفسه من خلال الآخرين.. وهذا لا يعني بالضرورة أنه جزء منفصل عن كل كبير رهيب يقف أمامه غريباً عنه مأخوذاً به، وهو بالتأكيد ليس منصهراً في هذا الكل إلى حد يضيع معالمه ويفقده سماته فهو فاعل متميز إلا أنه غير سائب ولا منفصم، وهو منتسب متواشج ولكنه يبقى - أبداً - يحمل هويته المتميزة الأصلية.

الإنسان كان منتمياً دائماً

ولقد كان الإنسان منتمياً دائماً، منذ أقدم العصور مهما كانت أشكال انتمائه سلبية بل حتى منذ بدايته في كثير من الأحيان.. فقد كان منتمياً إلى عائلة وإلى قبيلة ثم إلى أمة.. وقد انتمى إلى دين أو معتقدات مهما كانت طبيعة تلك المعتقدات مغرقة في تخلفها.. بل حتى في خرافتها.. إلا أن حقيقة واحدة تبقى ماثلة في التاريخ وهي أن الإنسان كان في انتماء مبرر ينتهي به إلى الحرص على بقائه والحفاظ على نوعه.. فالخوف والحاجة والنزوع إلى القوة وحب التسلط والحيرة في تفسير كثير من الظواهر الطبيعية حوله، أخرجت إنساننا القديم إن جاز القول من كهف عزلته وأوجدته مشدوداً إلى الآخرين.. وإنساننا

المعاصر أحوج ما يكون إلى الانتساب إلى قيم جماعية توثق علائقه بغيره ليدرأ عن نفسه مخاطر عصره، فهو مهدد بالفناء وباندحار قيمه الحضارية الإنسانية باسم الحضارة نفسها، وهو يعاني من الضياع وسط دوامة الأفكار والأوضاع البالية وكذلك المتجددة والمتبدلة بشكل سريع ودائم، وكأنها تريد أن تواكب عجلة الآلة الرهيبة التي سحقته وحملته كل أعبائها.. ولا يتاح له أن يقف في وجه كل هذه المخاطر إلا من خلال التحامه مع الآخرين، عن طريق طرح موقف إنساني مشترك، وهو عدا عن مبررات انتماء وجوده الأول تلك السلبية، ينطلق اليوم من إيجابيات في مقدمتها حرصه على ميراثه الحضاري حصيلة كفاح أجياله المتعاقبة، وتطوير هذا الميراث لصالحه حاضراً ومستقبلاً.. إن هذه المسؤولية الكبير لا يمكن أن ينهض بها الإنسان الضائع اللامنتمي.

الانتماء العربي ضرورة حتمية..

وعلى هذا الأساس يظل الإنسان العربي المعاصر دون شك يواجه أكثر من غيره ظروفاً قاهرة وشائكة ومعقدة تعقيداً شديداً فهو يواجه ويجابه أشكالاً استعمارية مختلفة ومعقدة في نفس الوقت.

التجزئة، وسلخ أقسام كبيرة منه قسراً وإلصاقها بشكل مفتعل بأقطار غريبة عنها في كل شيء، هذه الأشكال صور متعددة لحقيقة الوجود الاستعماري على أرضنا العربية بكل أسف، ومع كل هذه التعقيدات فليس الاستعمار جوهر مشكلة الإنسان العربي، وإن مثل مظهرها القوي الواضح.. وكان النتيجة المنطقية المترتبة على تفككه وتقهقره، فإنساننا يعاني من تخلف مروع في القيم والعلاقات التي تسود مجتمعه وتحكم سلوكه وتصرفاته، ومن تصور في تفهم طبيعة المرحلة التي يجتازها وهو يعاني من انفصام رهيب بين شخصيته المهزوزة في واقعه الراهن والشخصية «المثال» التي ارتسمت في مطامحه، ومن الهوة الواسعة بين واقعه المتخلف المنحل، ومدى إمكاناته التي وضعها استعداداً لتجاوز هذا الواقع ليصل إلى وجوده وفق الشروط التي وجه لها كل آماله، وهذه التعقيدات على خطورتها تصلح لأن تكون تربة خصبة ومناخاً ملائماً لاستنبات الثورة بشروطها الموضوعية التي تهيىء لها أن تأخذ كامل أبعادها في الحياة الإنسان العربي، إلا أن هذه الظروف والتعقيدات ذاتها يمكن أن تشكل متنفساً وظروفاً مؤاتية لاستشراء أخطر الأمراض القاتلة

وأشدها فتكاً، وعلى مدى تكهن الإنسان العربي بطبيعة تعقيدات هذه المرحلة، ومدى استعداده للبذل في سبيل تحويلها إلى أرضية صلبة تكون منطلقه الثابت إلى أهدافه التي توخاها يعتمد مساره الصحيح ويحدد ظفره النهائي.

وهنا يبرز سؤال هام وملح هل تتبدل صورة المجتمع كما هي الآن وبشكل تلقائي إلى الصورة التي تحقق إنسانيته، وبصيغة أخرى إذا كان التاريخ وبشكل حتمي يسير باتجاه الإنسان العربي المتحرر، فهل نلغي دور هذا الإنسان ونقتل مبادرته وفقاً لعجلة هذا التاريخ واستباقاً للزمن، والإجابة ببساطة أن الزمن عنصر هام وفعال وبإلغائه لا معنى للنضال أساساً، وبصورة أوضح أن مهمتنا لا تنحصر في كشف القوانين المحركة لمجتمعنا فحسب، بل إن كشف هذه النواميس خطوة ضرورية ولكنها خطوة أولى تساعدنا على الاستفادة منها في وضع قضيتنا في إطارها الصحيح لدفعها وتحريكها بشكل دائم حتى تستكمل مدياتها وتأخذ وضعها السليم في الأفق القومي الإنساني، حركة تقدمية تسير باتجاه التاريخ لأنها انطلقت من الإنسان واتجهت إليه.

المبدأ والممارسة

يظل من نافلة القول بأن الثورة عمل إنساني عظيم وطريق حاسم من أجل حل قضية الحرية التي لا تتجزأ مهما تكن الأسباب والأحوال، والتي لا تكون إلا في ظل نظام عملي بديع مقام أساساً على سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه، ولهذا يصبح تناول موضوع الانتماء الثوري الذي يدخل ضمن فلسفة الثورة وأداتها المتمثلة في حركة اللجان الثورية أداة الثورة الشعبية ثورة الغد، مسألة ضرورية ومهمة في نفس الوقت لا يمكن تجاهلها والاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.

فإذا كانت الركيزتان الأساسيتان لأية ثورة هما جملة المبادىء التي تنطلق منها والتي تشكل في ارتباطها أو جدليتها فيما بينها ما يمكن أن نصطلح عليه «بالإيديولوجية»، والممارسة التي تعبر عن هذه «الإيديولوجية» في الواقع وفق استراتيجية ثورية معينة أو

جملة من الاستراتيجيات العامة التي تضعها الثورة وفقاً لفلسفتها في إطار التعامل اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي في جميع المجالات وعلى كافة المستويات، وبمعني آخر فإن الثورة تعبير عن المبدأ والممارسة لكي تكون أمراً واضحاً يحكم المبدأ والممارسة من علاقات وما قد يطرأ عليهما من مفارقات عبر المسيرة الثورية وحيال ذلك ينبغي أن نثبت ما يلي:

1 ـ أن المبادىء التي تنطلق منها الثورة وحددت معالمها في نظرية جماهيرية جديدة المتمثلة في الكتاب الأخضر بفصوله الثلاثة، لا يجوز التفريط بها أو التنازل عنها أو إلغاؤها بأي شكل من الأشكال فلا يجوز أن نتصور مثلاً أن بالإمكان الاستغناء عن سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه، أو إلغاء الاشتراكية التي هي اختيار ثوري من أجل تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية بين أبناء الأمة سواسية تحت أي ظرف من الظروف.

2 ـ لا يجوز كذلك أن نتصور مثلاً أن بالإمكان الاستغناء عن الوحدة العربية أو التنازل عن جزء من الوطن العربي تحت طائل أي سبب كان.

3 ـ أن الممارسة تنبثق من الأهداف تأكيداً وتجسيداً عملياً لها، وتتكيف حسب الظروف ولكن بدون أي حياد عن الخط المؤدي إلى تحقيق هذه الأهداف ذاتها.

4 ـ قد تختلف صور الممارسة الثورية وقد تركز على جانب دون آخر في مرحلة نضالية معينة من المراحل الحاسمة التي تخوضها الثورة وفقاً لطبيعة المواجهة مع القوى المعادية على كافة الساحات، إلا أنها لا يجوز أن تكون بديلاً عن الأهداف المحركة للثورة أو إلغاء لها.

5 ـ أن الممارسة الثورية الواعية والمسؤولة تتعايش مع الظرف والخطة الآنية، بمعنى أنها تعبر عن طاقتها في تحقيق جزء من الأهداف المرسومة بقدر معطيات ممكنات الحركة الثورية وممكنات أعدائها في آن واحد.

6 ـ أن الحركة الثورية قد تحقق تطابقاً بين أهدافها وبين قدراتها على تحقيق هذه الأهداف.. وعند ذلك تكون الممارسة بأعلى إرادة الحركة الثورية واحتياجها معاً.. وقد يكون النقيض أحياناً حين تكون المسافة واسعة بين طموح الحركة الثورية ومحصلة قواها بالنسبة إلى القوى المتصارعة معها.

وإذا كانت الحقيقة التي لا تقبل مجرد الجدل هي أن المبادىء أساسية ولا يمكن التنازل عن بعضها أو التفريط بها، فإن الوصول إلى هذه المبادىء بالضرورة يملي على المنتمي الثوري أن يبقى بمنأى عن الانزلاق إلى ترجيح كفة الأعداء، وثمة سؤال ضروري وهام يطرح نفسه ألا وهو: هل يمكن للمنتمي ثورياً أن يبقى على هويته دون أن يكون هو المؤثر في الأحداث؟ والإجابة هنا تفرض نفسها.. إن المنتمي ثورياً حين يزج بنفسه في موقف يعطله ـ إن لم نقل يقضي عليه ـ فإنه بذلك يفقد أهم مزايا قدرته على التحرك والتأثير.

الممارسة والتعامل مع المواقف

ثمة ظاهرة خطيرة ينبغي على المنتمين ثورياً لحركة اللجان الثورية أداة الثورة الشعبية ثورة الغد، وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة غير متوقعة أصلاً بالنسبة لمجتمع بيده السلطة والثروة والسلاح ويحكم نفسه بنفسه عبر المؤتمرات الشعبية الأساسية واللجان الشعبية إلا أن الإشارة إليها هنا مسألة ضرورية ولا غنى عنها ضمن سياق التحليل الموضوعي والمنطقي، وبالتالي يظل تناولها مفيداً في إطار المعرفة، هذا جانب.. ومن جانب آخر لكي لا

تسقط من الحسبان في الممارسة، والتعامل مواقف ينبغي على أية حركة ثورية أن تعيها وتعالجها من موقف دقيق وهي أن الجماهير في المجتمعات التي من حولها تحمل بذور الثورة وتعيش حالة من القلق تجعل عواطفها مبثوثة حيناً في هذا الاتجاه وفي اتجاه آخر في بعض الأحيان، وإذا كانت المجتمعات التي تعيش حالة الاستعداد للثورة فإن المقاييس التي تحكم مواقفها وتصرفاتها ليست موضوعية وعملية دائمة، وبمعنى أوضح إن وصول المجتمع إلى مستوى يبرر الثورة يعني أن كثيراً من عوامل التخلف قد ضربت جذورها في بنيته التي ظلت أكثر طواعية، وهو الأمر الذي يجب على المنتمين الثوريين توظيفه لمصلحة إعلان الثورة الشعبية لكي تصل الجماهير إلى السلطة وتملك زمام أمرها بنفسها إلى الأبد.

إن عواطف الجماهير وأحاسيسها دون شك وبخطها العام هي نبيلة وعظيمة وصادقة وباتجاه سليم، إلا أن من غير المشكوك فيه أبداً أن النظرة الموضوعية والعلمية والحسابات الدقيقة تضيع في أغلب الأحيان كلياً لدى الجماهير بشكل خاص في غمرة الحماس، فلقد شهد الوطن العربي الكبير وغيره من بقاع العالم مداً جماهيرياً

عارماً إبان سنوات الخمسينات وإلى حتى الستينات، وكانت هذه الجماهير فعلاً على استعداد للعطاء والتضحية وقد أعطت في كل مناسبة، إلا أن سيل المد من الجماهير قد مزقته أهواء بعض الأنظمة التقليدية إن لم نقل كلها ومزقته في ولاءات كثيرة ومتعددة تبعد اختلاف جهات النظر فيما بينها وضيقت فاعليته، ولسبب أساس يكمن في أن العاطفة وحدها كانت المتحكمة في هذه المدود.

إذن فإن مهمة أعضاء اللجان الثورية المنتمين إلى الثورة استيعاب كل الدروس المستفادة من نضال الجماهير في أي مكان وزمان بالعالم، وينبغي أن تنصب ممارسة الثورة في الواقع على الاستفادة من هذه الطاقة وتوجيهها في النضال الثوري الفعال بشكل يقرب انتصار الجماهير على أعدائها دون أية هوادة في ذلك ومهما تكن الصعاب التي قد تعتري طريق هذا العمل العظيم.. إن الشعب العربي يؤمن بالوحدة العربية الشاملة من المحيط إلى الخليج وقد قدم في سبيلها أفواجاً متعاقبة من الشهداء ولا يزال حتى الآن يقدم كل غالٍ ورخيص من أجلها، إلا أن غياب الانتماء الثوري الأصيل الذي يستمد شرعيته وقوته من الجماهير ضيع عليه دماءه وخمسين عاماً من نضاله، وعلى هذا

الأساس فإن التعامل مع عواطف وأحاسيس الجماهير من الممارسة بشكل علمي يحدد مهمة الثورة الأولى.

فالجماهير التي عاشت على قرع الطبول ودق أبواق الحرب قد تكيفت على هذا الأساس ولم تمنح الفرصة في عمومها لكي تضع نفسها في المسالك السليمة التي تحقق أهدافها.. ولكي يبقى الانسجام كلياً مع الجماهير، ولكي تأخذ هذه الجماهير مواقعها الأمامية والطبيعية في الثورة ينبغي مراعاة ما يلي:

1 - تخليص الجماهير من النظرة السطحية العاطفية التي ضيعتها خلال السنوات الماضية وتغييبها عن ساحة الفعل.

2 - تسخير كل البرامج التعبوية الممكنة إعلامياً لخلق الثوري الواقعي لدى الجماهير عامة.

3 - اعتماد مبدأ تقديم كل شيء على حقيقته لكي ينتهي الجهل ومصارحة الجماهير بكل الظروف الموضوعية والمنطقية التي تواجهها بشكل مباشر وغير مباشر.

4 - ربط الجماهير بالثورة بشكل مباشر من خلال ما تقدمه هذه الثورة بعيداً عن المبالغة والأساليب الغوغائية الرخيصة.

5 ـ شرح كل التبعات التي تتحملها الثورة من خلال قيامها برسالتها وبالتالي تتحملها الجماهير لوضعها أمام مسؤوليتها الواعية.

6 ـ تقديم حساب بياني عام على الأقل للجماهير عن الطاقات التي حشدتها الثورة والتي ينبغي حشدها سياسياً واقتصادياً وبالأرقام لتحمل مسؤوليات المرحلة..

الدعوة للثورة

إذا كانت الثورة تعني المبدأ والممارسة الواعية المسؤولة التي تنطلق بالضرورة من جملة المبادىء والأهداف والقيم الإنسانية ذات الدلالات العميقة في نفسية البشرية قاطبة، وعبر مسيرتها النضالية الطويلة والمتجهة باستمرار صوب تحقيق الحياة الكريمة السعيدة والخالية من كل مظاهر العبودية والعسف والاستغلال بنوعيهما المادي والمعنوي، فهذا يستدعي بالضرورة على المنتمين ثورياً فهم واستيعاب معنى الدعوة للثورة بالشكل العلمي والصحيح والابتعاد عن استخدام العبارات الزائفة والمنمقة والدعائية الإيحائية في ممارسة الثورة واقعياً وعملياً وعلى كل المستويات.

فالثورة التي تعني المبدأ والممارسة، هي الطريق الإنساني المتكامل والذي يجب على المنتمين ثورياً معرفة ذلك معرفة تامة وواعية في إطار عملية التغيير الجذري

للمجتمع والانتقال به من مرحلة طورية إلى مرحلة أخرى أكثر تقدماً وإشراقاً، وصولاً لتلك المبادىء والأهداف العظيمة التي تشكل القاسم المشترك بين الثورة والجماهير معاً، وفي مقدمة ذلك تحقيق التحرر النهائي لبني الإنسان من كافة أدوات البطش والإرهاب المادي والمعنوي، والمتمثلة في جميع أنظمة الحكم التقليدية السائدة في العالم الآن.

ومن هذا المنطلق تظل الدعوة للثورة مسألة ضرورية لا غنى عنها ضمن المهام والواجبات الأساسية التي يؤديها أعضاء حركة اللجان الثورية من خلال البرنامج الثوري الدائم والعام، وبالتالي لا يجوز التفريط فيها أو التنازل عنها لأي سبب كان، ولكن بشرط أن تكون الدعوة تنطلق من البعد الفلسفي والحضاري والتاريخي والإنساني للثورة ذاتها، ولا تخرج عن ذلك مهما كان الأمر.. لأن مسألة الخروج هنا تشكل انحرافاً ثورياً وعقائدياً وتسيء للثورة أكثر من التعريف بها، وسواء كان ذلك بقصد أو بدونه فالنتيجة واحدة، لذا ينبغي على المنتمين ثورياً فهم مثل هذا الأمر الخطير والعمل على تفاديه بدقة متناهية من خلال القيام بواجب الدعوة والتبشير للثورة في أي مكان وزمان بالعالم.

وعلى هذا الأساس إن جاز القول: فالثورة هي مثل الفكر الإنساني، الذي ليس بالإمكان لأحد أن يدعي شرف ميراث الفكر كله، ولا لأمة أن تدعي ابتداع الحضارة وانتسابها إليها واحتكارها لنفسها. . ذلك لأن الفكر ميراث إنسان مشترك قام بالإنسان ومن أجله وأسهم فيه أفذاذ متعاقبون بغض النظر عن انتساباتهم المختلفة وأجناسهم المتباينة. . والحضارة هي أيضاً ملك الإنسانية قاطبة، وليست وقفاً على أمة دون غيرها. . وهي حصيلة تضافر جهود أمم كثيرة مشتركة أسهمت كل منها بقسطها بقدر ما أتيح لها من فرص، وبمقدار ما أوتيت من قابليات.

هكذا تكون الثورة بالضرورة، فهي طريق إنساني للتراث الحضاري العظيم، والذي يشكل خضماً وتراكماً هائلاً، ولكل أمة فيه مجراها الأصيل المميز. . ولقد أسهمت أمتنا العربية كغيرها من الأمم الحية بقسط وفير في هذا النتاج الإنساني، وكان لا يزال لها شرف السبق في ميادين كثيرة، وتخلد في هذا المضمار منارات عظيمة مضيئة على درب الحرية والتقدم والرقي، ولم تفقد روعتها ورونقها رغم كر العصور وتعاقب أيدي العابثين والمخربين. . وكان لحيوية أمتنا ومرونتها وقابلياتها اللامحدودة في الانفتاح على

حضارات غيرها من الأمم الأثر الأول مثلما تفعله اليوم في دورها المميز هذا.

فلقد انفتحت وهي في أوج عظمتها وقوتها على الحضارات التي عاصرتها ووصلت إليها.. فأخذت حيث كان ما يؤخذ ضرورياً ومناسباً لها ومنسجماً مع فكرها، ورفضت حيث كان ما يرفض متعارضاً مع شخصيتها ومنافياً لطبيعتها ومعتقدها.. وكانت في كل ذلك تصدر عن موقف إيجابي أصيل، فهي لا ترفض للرفض.. ولا تنطلق من موقف الغرور المتكبر الذي يرفض من موقف متعال أهوج.. وهي حين تأخذ لا تنطلق من موقف التابع الغبي الذي لا يقوى على النظرة الفاحصة والتمييز والفرز السليم.. لتضيع بين ركامات القشور وأكداس الشوائب.. فمن الموقف المدرك والواعي تسدي بدفعها الخير والعطاء لتترك لمساتها الرائعة في التاريخ الإنساني والميراث الحضاري الهائل، وفي المكان المشرق البارز من الصرح الإنساني الجبار، مثلما تعمله اليوم بكل عزة وشموخ وكبرياء في شتى الميادين.

وكان قدراً على أمتنا العربية أن تقف في مستهل هذا القرن ذات الموقف الذي تعرضت له قبل العديد من

القرون السابقة. إلا أن ثمة فروقاً جوهرية وأساسية بين ظروف أمتنا في ماضيها المجيد الزاهر وحاضرها الراهن الممزق والمشلول، فكان عليها أن تثبت قدرتها وتشد قامتها لتواجه أعتى الأعاصير التي اكتنفتها من كل صوب، وأن تجابه الأطماع الوحشية الضارية بكل اعتداءاتها وألاعيبها الخديثة المحبوكة، لأن أصالة أمتنا العربية وانتسابها الحضاري العريق أعطياها القدرة الكافية على أن تشكل ملامحها بوضوح وجلاء وتكشف عن هويتها الناصعة.. ولقد أدركت ـ منذ البداية ـ ما ينتظرها من دور كبير ومسؤولية خطيرة لأجل إزاحة التركة الثقيلة التي أرهقتها.. وطرح الخمول الذي استعبدها طيلة القرون الماضية.. لتنطلق في آفاق الإبداع والتفتح وتسهم بنضالها الإنساني.. بفكرها الرائد في بناء الحضارة الإنسانة الجديدة الخالية من العسف والجور والاستغلال.

ومن هنا يكون الحديث عن الانتماء الثوري بشكل عام مهماً ومفيداً أكثر من أي وقت مضى، خاصة وأن الجماهير وقواها الحية في كافة ربوع العالم تستعد الآن للاحتفال والابتهاج الكبير بالعيد العشرين لثورة الفاتح العظيمة التي جسدت نظرياً وعملياً نضال وكفاح الشعوب في صياغة

شمولية وفقاً للطرح الحضاري والجماهيري الجديد المتمثل في النظرية العالمية الثالثة ودليلها الكتاب الأخضر بفصوله الثلاث، لذا فالتحدث عن الانتماء الثوري في هذا الوقت بالذات يضفي طابعاً مميزاً وفريداً من نوعه، على اعتبار هذا التحليل يتعلق بانتماء أعضاء اللجان الثورية رسل الحضارة الجديدة والمبشرين بعصر الجماهير.. والذي ينبغي أن يكون انتماؤهم أصيلاً إلى الثورة.

فإذا كان ما تعنيه الثورة في مفهومها - مثلاً - هو قلب شامل لكل الأسس الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية البالية في مجتمع ما.. وإبدال تلك الأسس بأخرى تحرر الإنسان من التسلط والأجرة والإيجار والاتجار وفقاً لطرح حضاري جديد يجعل الجماهير عملياً تمتلك مقدراتها المادية والمعنوية بنفسها من خلال نظام يرتكز أساساً على سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه، وهو الأمر الذي يجب على المنتمين ثورياً ترسيخه وتأكيده باستمرار.

إن الثورة بهذا المفهوم لا يمكن أن تكون وليدة يوم معين، حتى وإن كانت ساعة تاريخ وقوعها تصادف أو تزامن مع أحد الأيام بل.. ستكون الثورة في المعنى

الصحيح هي وليدة الجهد الإنساني والمعاناة البشرية جميعاً، وذات دلالات عميقة في التاريخ والبعد الحضاري على حد سواء. . ولهذا السبب فالدعوة للثورة والتبشير بها تظل مهمة أساسية وضرورية للمنتمين ثورياً، ورسالة نبيلة يتحمل مسؤوليتها أعضاء حركة اللجان الثورية أداة الثورة الشعبية ثورة الغد، أكثر من غيرهم. . إلا أن هنالك مسألة هامة يجب التنبيه إليها في هذا السياق، وهي شتان بين الدعوة للثورة والتبشير بها، وبين «الادعاء» بالثورة لقصد المزايدة بها من أجل تحقيق مآرب أنانية وشخصية، وذلك من خلال التلفظ بها بعبارات واهية ومزيفة تقلل من القيمة العظيمة للثورة، لذا ينبغي على المنتمين ثورياً فهم مثل هذا الأمر وتجنبه لأنه يتعارض مع واجب الدعوة الحقيقية للثورة. .

الثورة ليست حكراً

طالما كانت الثورة في مفهومها الإنساني الصحيح تجسد معاناة البشرية قاطبة في مسعاها الدؤوب، ونضالها وكفاحها المستمر وصولاً إلى التحرر النهائي من كافة أنماط وأشكال أدوات الحكم التقليدية السائدة في العالم الآن. . وبهذا المفهوم تصبح الثورة هي الأداة الطبيعية والمشروعة في اكتشاف القواعد الظالمة ونسفها من جذورها، وإقامة قواعد جديدة عادلة على أنقاضها تحقق المساواة بين جموع بني الإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه، فتلك مسألة ليست من طبيعة الإنسان ذاته أن يتفلسف فيها هذا من جانب، ومن جانب آخر، فحرية الإنسان واحدة ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتجزأ مهما كان السبب في ذلك.

ومن خلال ما تقدم عن مفهوم الثورة بمعناها الصحيح فهي حقاً ليست حكراً على أي أحد مهما كان للأفراد من

أدوار هامة فيها، بل ستكون من حيث المبدأ والممارسة ثورة الجموع المظلومة والكادحة والمغلوبة على أمرها بفعل عمليات التزييف والتمثيل والتدجيل التي تمارس جهاراً نهاراً على غالبية تلك الجموع من قبل أنظمة الحكم التقليدية التي تحكم دون الجماهير ونيابة عنها، ومن هنا تظل الإشارة مهمة وضرورية لمثل هذه الأمور والمسائل الفقهية التي تطرحها النظرية الجماهيرية الجديدة ـ والمتعلقة بالممارسة الحقيقية للثورة، وهو الأمر المهم الذي ينبغي على المنتمين ثورياً لحركة اللجان الثورية فهمه واستيعابه بالشكل الصحيح والمطلوب في كل مكان وزمان بالعالم.

وعلى هذا الأساس يصبح الحديث عن الانتماء الثوري الأصيل مفيداً أكثر من أجل التعمق بالدراسة والتحليل فيما تعنيه الثورة من مبادىء وأهداف وقيم إنسانية تنطلق منها وتناضل من أجلها.. فالثورة وفقاً لهذا الطرح لا يمكن لنا أن نتصور ـ مثلاً ـ أن تكون حكراً على أي أحد، سواء من حيث المبدأ أو الممارسة، واقتصارها على مجموعة معينة بل، ستكون الثورة وفقاً لذلك، هي محصلة الجهد الإنساني المبذول الذي قام بالإنسان ومن أجله.. وبالتالي يحق لنا بكل تجرد ومصداقية في التحليل طرح، السؤال

الآتي: هل يمكن أن نتصور - مثلاً - الثورة تظل حكراً على مجموعة معينة مهما كان لهذه المجموعة من دور هام وفعال فيها؟.. إن الإجابة على هذا التساؤل هي التي استدعت الضرورة الملحة لتناول موضوع الانتماء الثوري في محاولة بسيطة من أجل تبيان الحقيقة..

فمهما حاولنا في هذه العجالة فلا نستطيع بكل يسر تأكيد صحة هذا الافتراض، وفقاً لذلك ينبغي أن نحدد نوع الانتماء الثوري الذي نريد، وبمعنى آخر أصح، نوع الانتماء المفروض علينا.. فلسنا مخيرين بين أشكال مختلفة وكثيرة للانتماء.. فإما أن ننتمي بشكل أصيل ثوري.. أو لا ننتمي على الإطلاق.. فنحن غير مدعوين أساساً للانتساب إلى مجاميع لا يوحدها غير سجل أسماء وقاعة اجتماعات وما إلى ذلك.. وإنما نحن ننتمي الانتماء الأصيل للثورة باعتبارها من الجماهير التي تشكل المضمون الاجتماعي لها.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، هذه حقيقة وليست زيفاً.. فانتماؤنا ناتج عن قناعاتنا واختيارنا الإرادي الذي يفرض علينا أن نوثق علاقاتنا بهذا الانتماء الذي ليس بمقدورنا الخروج عنه مهما كان الأمر.

وستظل مهمتنا الثورية الحقيقية دوماً تنحصر في أن نثق

في أنفسنا وأن نشق طريقنا بعزم وإصرار عبر كل رواسب التخلف البغيض ومن خلال الممارسة الملتزمة والصادقة للثورة دون أي ملل ولا كلل مهما يكن الثمن حتى نصل إلى جوهرها الصافي والنقي، وننشد إلى هذا الجوهر طارحين عنا كل أشكال الزيف وأنواع العلاقات البالية والمتخلفة.. ولكي يكون انتماؤنا ثورياً وأصيلاً ينبغي علينا أولاً.. أن نقطع صلتنا بكل الولاءات الزائفة والمزورة سواء كانت تلك الفئوية والشللية أو العرقية وغيرها من القيم الفاسدة التي تجاوزها التاريخ ومنطق العصر، وحكم على بدايتها أو تخلفها والتي من خلال إزالتها يتحدد بالضرورة انتماؤنا الثوري الأصيل للثورة ذاتها.

إن خطوتنا الصعبة في إطار الانتماء الثوري الأصيل هي الخطوة الأولى والتي ما زالت بكل صدق تحتاج منا بشكل عام إلى مصداقية حقيقية في ممارسة الثورة والتعامل معها في جميع المواقف وعلى كل المستويات.

فنحن حين نضع أنفسنا أمام مرآة عاكسة تكشف لنا الصورة على حقيقتها، ونتعرف على ملامحها كما ينبغي فعلاً، وعلى ضوء ذلك نفهم مدى فاعلية انتمائنا للثورة الذي يجب مراجعته وتقييمه باستمرار ضمن ممارسة الثورة

بمفهومها الصحيح هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أنفسنا أمام مصيرنا بشكل حاسم، بحيث ننتمي وننحاز بالكامل للجماهير صاحبة القاسم المشترك في الثورة كلها، ومتجاوزين أنفسنا نكون بذلك قد حققنا خطوة هامة في طريق الظفر.

وإذا كانت هذه الخطوة الهامة والخطيرة هي التي تحدد مصيرنا غالباً. . فالخطوة التي تليها تحتم على المنتمين ثورياً خاصة أعضاء حركة اللجان الثورية أداة الثورة الشعبية ثورة الغد، مراجعة نقدية وتقيمية دائمة، واستعداداً كاملاً لإعادة النظر في الانتماء كلما دعت الضرورة لذلك، إننا لا نكتفي بامتلاك الصفة الثورية فنشكل عليها لنجد أنفسنا غارقين من جديد في الزيف الذي انتمينا أساساً للقضاء عليه وصولاً إلى هدفنا الأسمى. إننا باستمرار مطالبون بأن نناضل بشكل دائم وعلى جبهتين. . فعلينا أولاً أن نناضل ضد أنفسنا دائماً وأن نزيح كل ما يعلق بما مما يشوهها أو يشلنا عن متابعة مهمتنا الثورية، وأن نناضل في الوقت ذاته ضد المفاسد الموجودة في غيرنا، إنها مهمة ثورية صعبة ومتكاملة وضرورة ودائمة. فهي إن جاز القول تشبه إلى حد كبير مهمة الطبيب الذي يعالج مرضاه فهو لا يستغني

أبداً عن تطهير نفسه وأدواته التي يستعملها ليكون بمأمن من عدوى الإصابة بكثير من الأمراض، فسلامة مرضاه تحتم عليه أن يحفظ نفسه دوماً في وضعها السليم. وبعد هذا كله، فما هو الانتماء الثوري الأصيل؟ كيف يتحقق؟ كيف يستمر؟ هل يكون انتماؤنا ثورياً أصيلاً، عندما لا نمارس الثورة بمعناها الصحيح ومن خلال حركة اللجان الثورية والمثابات الثورية؟

والإجابة عن هذه الأسئلة كلها هي التي تدعونا بشكل ملح أكثر أن نستمر في تناول موضوع الانتماء الثوري، الذي نحن بصدد الحديث عنه، وهي لا تخرج في نفس الوقت عن فهمنا لضرورة الانتماء وكيفية معالجته وتجديده وتوثيقه بشكل مستمر. . ولكي يكون انتماؤنا ثورياً أصيلاً ولا يقف عند حمل الصفة الثورية كهوية فقط يجب مراعاة الآتي!

إن الانتماء الأصيل لا يتحقق إلا بالاستناد إلى ركنيه الأساسيين التجرد والنضال الدائم والدؤوب. . هاتان هما السمتان الأصوليتان لثورية الانتماء، وبعد ألا يحق طرح السؤال التالي؟.

من هو المنتمي الثوري الأصيل؟

إن كثيراً ما يطرح هذا السؤال نفسه بإصرار بين المنتمين

للثورة، وهو من الناحية الواقعية ما زال يحتاج للبحث والإجابة، رغم الإجابة عنه من الناحية النظرية ـ نظرية الانعتاق النهائي ـ أما في صفوف الحركات الثورية التي شهدها العالم وعرفها التاريخ في العصر الحديث فهو لا يزال موضوعاً شائكاً ومعقداً بتعقيد تلك الحركة ذاتها باعتبارها شتاتاً غير متجانسة وربما متباينة إلى حد التناقض، وهو الأمر الذي يجعلنا نطرح هذا التساؤل بتجرد وموضوعية، وينبغي أن نثبت هنا أن هذه الظاهرة ليست خطيرة إلى حد يثير المخاوف، ولا حتى مجرد الاستغراب. . إنها قد تكون من الأمور الطبيعية في بعض الأحيان، ومن منطلق الثورة التي لا يستطيع تحمل مسؤوليتها والقيام بها إلا الذين آمنوا والقادرون على تحمل كل التبعات المترتبة على ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، قد تكون ملازمة لكل عمل ثوري مع التفاوت انسجاماً واختلافاً وقدرة على التحكم في تلك المتناقضات وتصفيتها لمصلحة الثورة. . ومن أبسط المسلمات أن أي عمل ثوري ينبثق أساساً وتتشكل ملامحه الأولى. . ثم ينمو تصاعداً واتساعاً بين الجماهير وسطه الطبيعي الذي لا غنى عنه. . وبدونها لا يمكن لأي عمل ثوري أن ينمو،

ويحمي نفسه، أو ينطلق في أبعاده الحقيقية.

ومن الطبيعي وفقاً لنافلة القول أن مبرر أية ثورة انهيار حادّ وشامل في المجتمع يتطلب تغييراً شاملاً وجذرياً في بنيته السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما يرضي تطلعات الجماهير ويحقق لها إنسانيتها.. وتتجسد أسوأ صور الفساد والإفساد في المجتمعات المتخلفة حين يتعدى مظاهر السلطة وأجهزتها وأوجه نشاطها المختلفة إلى الإنسان ذاته، بحيث يصبح الإنسان جزءاً من الفساد العام ونتيجة طبيعية من نتائج الانحلال الاجتماعي.. وفي هذه الحالة يتجسد الفساد بأبشع صوره ممثلاً في سلوكية مريضة تحدد العلاقات الإنسانية وفق مقاييس شخصية بحتة وتقيم وزناً لكل الاعتبارات على أساس من النفعية الضيقة والتي لا ترى أبعد من مصلحتها.

إن الجماهير دون شك أداة أية ثورة بل، هي مبرر وجودها وسر ديمومتها وبدونها لا تعني الثورة شيئاً، والجماهير على هذا الأساس لا تحتاج إلى دعوة توجه لها لتدخل في الحركة الثورية.. إنها تجد نفسها في صفوفها بحكم انسجامها معها مصيرياً.. وهذه الظاهرة الأساسية تحمل معها بعض المخاطر.. فانتقال الجماهير إلى

صفوف الحركة الثورية يعني انتقال كل ماضيها برواسبه السلبية وبتطلعاته الغائمة في العموميات غير المحدودة.. وهنا تبرز أهمية الحس الثوري الذي يستطيع أن يعتمد الفرز المستند إلى الفكر الواضح في الانتماء الاجتماعي في تنقية الحركة الثورية من كافة الشوائب التي قد تعلق بها.. ولكي تبقى ملامح الثورة الأصلية صافية واضحة، تجد الحركة الثورية لزاماً عليها أن تجتث كل العناصر المعوقة لانطلاقها وتكتسح كل البثور التي تحاول أن تطغى عليها أو تشوهها.

وفي مثل هذا الجو الموبوء بالفساد والتحلل تتحرك العناصر الثورية الفاعلة والمؤهلة طبيعياً من خلال ممارستها الملتزمة للثورة لإيجاد متنفس سليم يبقي على حياتها أولاً، كشرط أساسي يكفل لها التحرك في كل اتجاه.. إن أصالتها وحيويتها تعطيانها قدرة لامحدودة على إيجاد شروط حياتها بذاتها وعلى بث الحياة والحركة حولها.. إلا أنها لا يمكن أن تسد كل المنافذ بوجه المفاسد والمتناقضات التي تحيط بها، وهذا لا يعني - بالضرورة - ضياع القلة الثورية واختناقها في ذلك الجو المريض.. إنه - على العكس - يتيح لها فرصة الكشف عن أصالتها ونقاء

جوهرها بين أكداس الزيف والتشويه. . الفكرة الثورية النيرة لا يمكن أن يخنقها ظلام دامس بقدر ما يجعلها أكثر تألقاً وسطوعاً، أما الظلام فيندثر ويحترق في وميض شعلتها الوهاجة.

الثورة مهمة دائمة

في المفهوم الحقيقي للثورة التي تجسد معاناة الشعوب المتطلعة للحرية ومن خلال نضالها وكفاحها المقدس والمشروع ضد جميع أدوات الحكم التقليدية التي تحكم دون الجماهير ونيابة عنها، تظل الثورة وفقاً لذلك مهمة دائمة ومتصاعدة باستمرار وخاصة إذا ما عرفنا بأنه ليست ثمة نهايات محددة لحركة التاريخ، وهذا يكفي في حد ذاته على أن تظل مهمة الثورة مستمرة بحكم طبيعة التناقض القائم بين الجماهير وأعدائها في كافة أنحاء العالم، وهو الأمر المهم الذي ينبغي فهمه واستيعابه بشكل صحيح من قبل المنتمين ثورياً لحركة الثورة ذاتها، والعمل بكل تفان وإخلاص من أجل تحقيق ذلك.

ولهذا يجب على المنتمين ثورياً مراعاة هذا الأمر الهام والخطير في نفس الوقت، والمتعلق ـ ضرورة ـ بالفهم الحقيقي والسليم للمهمة الثورية من خلال الوعي والإدراك

للممارسة الواعية والمسؤولة للثورة باعتبارها مهمة دائمة ومتصاعدة دوماً نحو مواقع متقدمة كل يوم، ولا تقاس مهمة الثورة العظيمة التي تعبر باستمرار عن أماني وتطلعات الشعوب في كل مكان وزمان بالعالم، بظواهر محددة فحسب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إذا لم تفهم هذه المسألة عند الثوريين أنفسهم يمكن أن تقع الثورة نفسها ضحية أخطاء المنتمين إليها، وهو أمر متوقع في كل الأحوال وينبغي لفت النظر إليه وأخذ اليقظة والحيطة منه باستمرار ومهما تكن الظروف.

إن أخطاراً كثيرة متوقع ظهورها من خلال ممارسة العمل الثوري في كل موقع من المواقع التي تنطلق منها الثورة يومياً وتهدده وتجابهه بشكل خاص في مراحله الأولى.. وما دامت كفة المتناقضات بين الثورة وأعدائها التاريخيين الذي يشكلون دوماً إرث الثقافة الرجعية البالية عبر كل العصور، غير مرجحة في بعض الأحيان بشكل حاسم لصالح الثورة نفسها.. وبالتالي تظل هذه المسألة مهمة وضرورية وينبغي فهمها بعمق صحيح من قبل المنتمين ثورياً، وعدم الاستهانة بها أو إسقاطها من الحسبان لأي سبب كان.. فممارسة الثورة بمعناها

الحقيقي في الواقع تتوقف وتعتمد بالضرورة على مدى قدرة وفاعلية أعضاء الحركة الثورية بشكل عام، حيث تداز العمليات الثورية باتجاه تحقيق المزيد من المهام المؤدية إلى ترسيخ المبدأ الذي تناضل في سبيله وتستميت من أجله.

فإذا لم يفهم ذلك فهماً صحيحاً ستظل مهمة العملية الثورية قاصرة ومعرضة في نفس الوقت للخلل، ما لم تتكامل فيها الشروط الأساسية.. والتي تحدد بالضرورة مدى قوة فاعليتها خلال المواجهة الفعلية التي قد تفرضها القوى المعادية للثورة من حين لآخر.. إن ذلك يظل من أهم مستلزمات نجاح العمل الثوري وضروراته، وفي مقدمة ذلك، أن تبقى صلة الجماهير بالثورة قوية ومتماسكة ومتفاعلة معها من أجل قطع الطريق نهائياً على تسرب أي مرض يمكن أن يعزلهما أو يقيم بينهما شكلاً من أشكال التعارض، أو حتى مجرد عدم الانسجام.

إن أقصى ما يطمح إليه أعداء الثورة، وخاصة في المرحلة الأولى ـ وحين لا يجدون فرصاً مؤاتية للانقضاض عليها والتخلص منها دفعة واحدة ـ أن يجدوا علاقة الثورة بالجماهير غير منسجمة وغير متجانسة وغير متفاعلة مع

بعضها البعض، وهذا الأمر يحدث عندما يكون هناك خلل في سياق ممارسة العمل الثوري، أصبح يشكل خطراً على علاقة الثورة بجماهيرها.. وبالتالي تستدعي الضرورة القصوى للثورة في مثل هذه الحالة أن تعيد مراجعة نفسها وتقيم موقفها بشكل عام بما يؤكد توطيد علاقتها بالجماهير باعتبارها تشكل المضمون الاجتماعي لها.

إن الأداة الثورية التي تبني علاقتها بالجماهير بشكل موسمي مؤقت تتصاعد وتشتد ثم تهبط وتفتر دونما موازين ثابتة، وبنسب غير متجانسة فتلك الأداة ليست واعية بالممارسة الحقيقية للثورة، فحين تنشد الجماهير لثورتها منجزاً اقتصادياً ضخماً أو عملاً سياسياً عظيماً يشكل منعطفاً أساسياً في حياتها اليومية المعاشة على كل المستويات.. فتلك ظاهرة إيجابية بالتأكيد.. وينبغي على المنتمين ثورياً فهم هذه الظاهرة فهماً سليماً ووضعها في مقدمة العمل الثوري هذا من جانب، ومن جانب آخر.. إن إيجابية هذه الظاهرة، لا ينبغي أن تكون عند حدود الوقوف خارج الثورة نفسها، حدود التأييد المفتعل.. تأييد المعجب المتفرج.. بعيداً عن المسؤولية.

أما حين تفتر حماسة الجماهير.. وتندفع وراء دعايات

أعداء الثورة وتجتذبها فتاواهم الخاطئة، وحين تظهر الأخطاء في بعض جزئيات حركة الثورة، فتلك مسألة يتحمل الثوريون أنفسهم جانباً كبيراً أو الجانب الأول فيها. . وفي هذه الحالة يعد الأمر انحرافاً تستوجب الضرورة الثورية معالجته قبل فوات الأوان. وعلى ضوء منطلقات الثورة سواء التي تنطلق منها أو التي تناضل من أجلها، فإن حالة القلق والتذبذب في الأمور والمسائل الأساسية والجوهرية تشكل مناخاً ملائماً لاستشراء الادعاءات المغرضة والمشككة والتي غالباً ما تكون كخطوة أولى لإنطلاق أعداء الثورة من حصون قوية وغير منظورة. . وهو الأمر الذي ينبغي معرفته بكل دقة من قبل المنتمين ثورياً وأن يعملوا بكل يقظة وحيطة تامة من أجل مواجهته والقضاء على تلك الادعاءات الزائفة وعلى مروجيها الذين حاولوا تشويه الثورة أو النيل منها.

المهام الثورية دائمة ومتجددة

كثيراً ما يقع بعض المنتمين ثورياً لحركة الثورة في خطأ جسيم. . حين يتصورون أن الثورة يمكن أن تقف عند مهام معينة من الناحية العملية. . وبمعنى آخر، حين يتصورون أن مهمة الثورة هي مجابهة لموقع محدود

ومجسد من الأعداء.. وإذا كان صحيحاً جداً أن مهام الثورة ينبغي أن تكون محددة في كل مرحلة من مراحل النضال التي تخوضها ضد قوى الشرك والبغي على كافة المستويات.. فإن تشخيص الأعداء وتحديد مسألة معالجتهم أو التعامل معهم وفقاً لما تقتضيه طبيعة المجابهة ذاتها في كل مرحلة نضالية معينة هو أمر أساسي بالنسبة للعمل الثوري.. إلا أنه غير صحيح، أن يكون الثوريون محصورين ضمن إطارات حديدية مقولبة من الصيغ النظرية والمعارف المتداولة، وبشكل يجعلهم يشعرون بأنهم بلا مهام حين يفرغون من مهمتهم المشخصة.

إن عملية التغيير للمؤسسات الاقتصادية القديمة وما يستتبعها من هدم للبنى الاجتماعية والفكرية الموروثة وإقامة غيرها كمحصلة لمسيرة الثورة، تفتح، وفي كل يوم، أوسع الطرق لمهام كثيرة مترتبة أساساً على طبيعة المهمة الثورية الدائمة والمتصاعدة أمام المناضل الثوري الحقيقي الذي يعي عملية التغيير الجذري بمعناها الصحيح.. وحين يشعر أنه جزء فاعل ومؤثر في سلسلة طويلة ومتصلة من العمليات الثورية.. يحرص بالتأكيد على تحديد مهامه وضمن الإطار العام لحركة الثورة..

الذي يعبر عن موقفه الإيديولوجي وفقاً لمنطلقات الثورة، إنه حينذاك يفتش عن أعداء مجهولين ولا يطلق رصاصاً طائشاً قد يصيبه أو يصيب بعض رفاقه ممن ينتمون ثورياً سوياً.

ولعل من الأمور الخطيرة التي تجابه أو تواجه المنتمين ثورياً في أعقاب انتقالهم من مرحلة النضال السلبي إن جاز القول إلى مرحلة النضال الإيجابي في إطار عمليات التغيير الجذري المستهدفة بالضرورة، بناء المجتمع الجديد الخالي من القهر والعسف والاستغلال.. إن مهمة الثورة دائمة ومتصاعدة وتاريخية، وليست ضربة قاسية توجه لمتآمرين عليها يتحركون بهدف إعاقتها عن القيام برسالتها العظيمة فحسب.. وعلى أهمية ما تخلفه أجواء المواجهة المباشرة بين الثورة وأعدائها.. فإن القناعات التي تتكون حول الثورة ضمن هذه الحدود الضيقة، تجعل الكثيرين من المنتمين ثورياً لا يشعرون أن هناك ثورة، ما دامت في غير مواجهة مباشرة مع القوى المعادية لها، وبالتالي يفقدون الكثير من خصوصيتهم أمام مغريات الدعة والراحة والانصراف إلى حياة هي في حدها الأدنى غريبة عن الثورة.

الثورة ليست مهمة محدودة

إن الثورة وفقاً لمفهومها الجديد، والذي يعني اكتشاف القواعد الظالمة في الواقع اليومي المعاش لأي مجتمع، من خلال عملية الرصد والتحليل لمظاهر تلك العلاقات البالية، ومن ثم تغييرها تغييراً جذرياً بقواعد جديدة عادلة، تحقق المساواة في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ضمن إطار القواعد الطبيعية، التي هي المقياس والمرجع الوحيد في العلاقات الإنسانية، تؤكد القيم الحقيقية لآدمية وكرامة الإنسان، وهو الأمر الأساسي والجوهري لمشروعية الثورة واستمرارها في مهمتها الإنسانية العظيمة من أجل الوصول إلى سعادة البشرية قاطبة.

وعلى هذا الأساس تصبح الثورة ليست مهمة محدودة تنتهي طبيعة تلك المهمة المؤقتة بل.. على العكس من ذلك كله.. فطالما بقيت الإنسانية كانت الثورة مستمرة من أجل تحقيق ما تطمح إليه البشرية، بل ليس هذا فحسب..

فطالما كان هناك صراع تاريخي وحضاري طويلاً ومستمراً بين الجماهير وأعدائها في كافة أنحاء العالم الإنساني، فإن الثورة العظيمة والإنسانية والتاريخية، ستظل مهمتها دائمة ومتواصلة ومتصاعدة دوماً نحو تحقيق المزيد من المبادىء والأهداف والقيم الإنسانية التي تنطلق منها وتناضل من أجلها، وهذا ما ينبغي فهمه فهماً صحيحاً من قبل المنتمين إليها، ويكون ذلك من خلال قيامهم بمهامهم الثورية الملقاة على عاتقهم وهم من دون غيرهم يتحملون مسؤولية استمرار الثورة.

إن صراعاً طويلاً وشديداً ومعقداً تعقيداً خطيراً سيستمر بين الجماهير التي تشكل المضمون الحقيقي للثورة وأعدائها في كل مكان وزمان بالعالم، وخاصة طالما ظلت أنظمة الحكم التقليدية السائدة الآن تحكم دون الجماهير ونيابة عنها. . وهو الأمر الذي يحتم بالضرورة وفي كل الأحوال على استمرار الثورة الحقيقية في مهمتها. . وبالتالي، سوف لن تكون محدودة كما قد يتصور ذلك البعض في الكثير من الأحيان.

واستناداً لذلك تتضح الحقيقة جلياً فيما يتعلق بالثورة ومهمتها التاريخية العظيمة والإنسانية في نفس الوقت،

ودون شك في ذلك أبداً. . فالثورة دائمة باعتبارها وسيلة التغيير الجذري. . ومتجددة من حيث فاعلية الأداء. . ومتصاعدة من حيث قوة الفعل في مواجهة الأعداء. . وتلك هي مهمة الثورة الإنسانية التي تعمل بكل قواها المادية والمعنوية على توصيل الجماهير للسلطة بأسلوب الثورة الشعبية ثورة الغد.

ومن هذا المنطلق والذي يعني ـ بداهة ـ أن الثورة ليست مهمة محددة بل. . هي دائمة ومتجددة ومتصاعدة كل يوم نحو مواقع متقدمة دون أن تلتفت إلى الوراء. . وما على الجماهير التي تمثل المضمون الاجتماعي لها، والثوريون الذي ينتمون إليها أن تصدق صحة مصداقية هذه المقولة، والعمل بكل جدية وتفانٍ وإخلاص على الاستمرار بالثورة لكي تنتصر الحرية الانتصار النهائي، ويسود العدل والأمن والسلام الحقيقي في كافة ربوع العالم الإنساني.

إن التجزئة لوطننا العربي الكبير من المحيط إلى الخليج وما يترتب عليها من تخلف تغلغل في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي الواحد، وكذلك النفوذ الاستعماري ـ مباشر وغير مباشر ـ والتسلط واغتصاب أجزاء من وطننا الكبير، إن ذلك كله لخير دليل

ناصع يجعل الثورة مهمة دائمة وشاقة في نفس الوقت، إلا أنه يمنحها ضرورة مواصلة الكفاح والنضال المقدس والمشروع في جميع الظروف.. ومن هنا، فإن التفكير ينبغي أن ينصب دوماً على خلق البؤر الثورية في كافة أنحاء العالم، مسألة ضرورية ولا غنى عنها بأي حال من الأحوال لكي تستمر الثورة في أداء مهمتها العظيمة، وهي مسألة تخص المنتمين للثورة دون غيرهم.

إن ذلك العمل العظيم لا يحقق مكتسبات جزئية فحسب، بل، يدعم الثورة ويؤكد أن طبيعة مهمتها الحقيقية ليست محددة، ويؤازر اتجاهها وموقفها نحو هدفها النهائي في خلق مجتمع جماهيري جديد متخلص من رواسب التخلف البغيض، وقادر في الإسهام بجدارة في المعركة التحررية العالمية.. وإذا كانت الثورة من طبيعة مهمتها الأولى هي، نشر كل المبادىء والقيم الإنسانية التي تنطلق منها وتناضل في سبيلها، وهذا في حد ذاته لا يتأتى إلا من خلال خلق بؤر ثورية متعددة على سطح الكرة الأرضية، وفي مقدمة ذلك وطننا العربي المترامي الأطراف.. فإن من البديهات التي تؤكد أن الحفاظ على المواقع الثورية في وسط الجماهير العريضة التي تحس بالظلم والمتعطشة

للحرية هي المسألة الأساسية والجوهرية التي تظل فارضة نفسها في أولويات العمل الثوري هذا من جانب، ومن جانب آخر. . هي التي تحدد في الكثير من الأحيان طبيعة الثورة بالشكل العلمي والعملي الصحيح، وبالتالي تكون مهمة الثورة ليست محددة.

ومن هنا تأكد لنا بكل وضوح وموضوعية في التحليل على أن الثورة ليست مهمة محدودة في قضية دون غيرها من القضايا الأخرى. . إن ـ مثلاً ـ تحرير الوطن العربي من الاستعمار هو الهدف الأساسي والجوهري للثورة. . وبهذا المعنى يأتي تحرير أي جزء من أجزاء هذا الوطن الكبير ضمن سياق الأهداف التي تناضل من أجلها الثورة بشكل عام، ناهيك عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الجديدة التي تطرحها الثورة على كافة المستويات وتبشر بها وتحرض في الجماهير على تبنيها بإقامة سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه. . وإذا كانت كذلك القضية الفلسطينية ـ مثلاً ـ تشكل هدفاً متميزاً في نضال الثورة له أهميته الكبرى في كفاحنا المشروع ضد العدو المغتصب للأرض والعرض في آن واحد. . وطبيعة المعركة التاريخية والمصيرية تحتم علينا بالضرورة. . تعدد المهام وتجددها

وتجعلنا بالتأكيد في صراع وجود وليس صراع حدود، وبعد أليس هذا كافياً في التدليل على أن الثورة ليست مهمة محددة؟

إنه بدون استيعاب عميق لمفهوم الثورة ومهمتها قد يتعرض العمل الثوري، والثوريون أنفسهم إلى مواقف لا يحمد عقباها، وفي مقدمة ذلك فقدان الثورة موقفاً وموقعاً هاماً ومتميزاً في صراعها مع التحالف الامبريالي العالمي والصهيوني والرجعي.. إن الثوري الذي يحمل انتماءً أصيلاً للثورة لا يعمل من وحي ما يتمنى أو يريد فحسب، فتلك مسألة مسلم بها، إذا كان يريد تحقيق أهدافه فعلاً فإن عليه أن يهيىء الأجواء المناسبة لكي يصل إلى ما يريد.. وإذا كان لا جدال في أن الأفق الإيديولوجي هو المد الذي ينبغي أن ينشد إليه الثوريون دائماً، فإن الممكنات الموضوعية هي التي تؤشر مقدار التحرك ضمن هذا الأفق.

إن المنتمين ثورياً حقاً هم الذي يدركون ذلك جيداً لأنهم يعرفون تمام المعرفة، أن الثورة لا تصنعها ألفاظ.. وأن الانزلاق إلى المأزق ليس ميزة ثورية أبداً.. فحين تكون منتمياً ثورياً حقاً ينبغي عليك أن تحقق كل اليوم إن

لم نقل كل ساعة كسباً دائماً باتجاه الثورة، وأن تلغم كل الطرق التي توصل القوى المعادية إلى موقعك الثوري، بقدر ما تكتسح كل الألغام التي تحاول زرعها تلك القوى في طريقك.. إنه لن يتأتى ذلك ما لم تفهم مهمة الثورة على حقيقتها، عندئذٍ يشعر الثوري الحقيقي ويدرك تماماً مهمته بدقة متناهية ويعرف أين يضع كل خطوة في مسيرته الثورية، ومن هنا يكون هو المسؤول.. أولاً وأخيراً، عن جدية النهج الذي يسلكه، بقدر ما يعمق الثوري موقفه النضالي التقدمي، ويستغني ـ بالضرورة ـ عن شهادات عرفان وامتنان مزورة تمنحها له جهات خارج الثورة.. وهو بهذا العمل يؤكد هويته النقية والمتميزة في الانتماء للثورة بعيداً عن الطيش والسقوط في القبو الكبير إن جاز القول الذي يجتهد الاعداء في إعداده للثورة المهددة لمصالحهم دوماً وهو الأمر الذي يؤكد بالضرورة ـ أن الثورة ليست مهمة محددة بل.. ستظل دائماً نوراً لمن اهتدى وناراً حارقة على من اعتدى فتلك هي الحقيقة في جدلية الصراع وليست سواها.

الأفق الإيديولوجي

من الأمور الهامة والضرورية التي ينبغي أن يعتبرها

الثوريون من مسلمات العمل الثوري: هي أن أية ثورة معرضة للوقوع في الأخطاء.. وأن ذلك لا يعد أو يشكل نقيصه في الثورة الأصيلة بل يمنحها الاستعداد الدائم لتمحيص مواقفها، والانطلاق من الاستشراق الواضح لنهجها الثوري الملتزم بالنظرة العلمية المتفحصة لمعطيات وممكنات الواقع الذي تتحرك ضمنه الثورة.. فالثورة بطبيعتها ومفهومها الصحيح ليست عملاً مجرداً ولا جملة أفكار تعيش بلا حيز، فذلك ليس من سمة الثورة على الإطلاق، بل إن وجودها الحقيقي الفاعل هو المتجسم بالتأكيد في قدرتها على تعميق وترسيخ كافة المبادىء والقيم الإنسانية على ضوء الأهداف المرسومة وفق نهجها الثوري العام، والذي يكون بالضرورة وسط الجماهير التي تشكل محتواها الإنساني والقادرة دوماً وحدها.. على وضعها في أفقها العملي التاريخي الصحيح.

وحين يتحقق ذلك لأية ثورة تصبح مسألة الخطأ والصواب سيان ومتوازيان في آن واحد وضمن سياق كل عمل تقوم به الثورة، بل ليس هذا فحسب إنما.. سيظل ذلك نقطة إيجابية دالة على تحرك الثورة وحافزاً لدفعها في المسار السليم متى وجدت الأداة الثورية الفاعلة

والمستوعبة لمفهوم الثورة والمهمة العظيمة، وتكون قادرة على القيام بمهمة عمل ثوري مزدوج شقه الأول ـ فهم الحاجات والإفصاح عن تلك الحاجات مهما يكن الأمر، وشقه الثاني ـ الارتباط بشكل مباشر ووثيق بصراع الجماهير مع القوى المعادية لها، وصوغ مطامحها بما يؤمن انسجامها مع الخط الثوري الصحيح ويكفل تحقيقها في نفس الوقت.

الثورة ليست حركة انقلابية

لقد شهد عالمنا المعاصر أنواعاً كثيرة من الأنماط والأشكال السياسية المتعددة والمتباينة والمختلفة مع بعضها البعض باختلاف وجهات النظر فيها، الأمر الذي ترتب عليه بالضرورة انتهاج مسالك عدة من عمليات الدجل والنفاق والتزييف في كل شيء حتى الأشياء وطبيعتها الحقيقية ومسمياتها الصحيحة لم تسلم من ذلك، وبالتالي، فقدت قيمتها الأصلية في إطار التعامل على كل المستويات.. فتلك هي الحقيقة برمتها التي شهدها عالمنا المعاصر وسجلها التاريخ في صفحاته المظلمة بكل أسف إن لم نقل لا يزال يشهدها يومياً حتى الآن ولا تحتاج لأي تدليل على الإطلاق.

وبسبب ذلك فقد اختلطت كل الأمور على الناس في هذا العصر الذي يسمى بالحديث والمعاصر في آن واحد، وأصبح من الصعب إن لم نقل أيضاً مستحيلاً معرفة وفهم

الحقيقة بطبيعة هذه الأمور المعقدة تعقيداً شديداً وخطيراً في نفس الوقت، بحيث ظلت الإنسانية تدفع الثمن غالياً وجسيماً مقابل أن تصل تلك الأنماط والأشكال السياسية المعاصرة والمزيفة للحكم دون الجماهير ونيابة عنها، وتحولت بعد ذلك بكل أسف سيفاً مسلطاً على رقابها بدون أي وجه حق على الإطلاق، واستثناء عمليات الدجل والنفاق والتزييف للإرادة الثورية والشعبية من قبل تلك الأنماط والأشكال الفاقدة لشرعية وجودها حتى وإن ادعت بالثورة زوراً وبهتاناً، فتلك الحقيقة المؤلمة والمخجلة والمدمرة لمسعى الإنسانية المتجه نحو الوصول إلى مرحلة الانعتاق النهائي من كافة القيود وفي مقدمتها قيود تلك الأنماط والأشكال المزورة.

إن كل هذه الأنماط والأشكال السائدة في العالم الآن والتي تحكم دون الجماهير ونيابة عنها، لم تكن لها أية علاقة على الإطلاق بمفهوم الثورة الحقيقية لا من بعيد ولا من قريب مهما حاولت أن تدعي ذلك.. بل هي في حقيقة الأمر حركات سياسية انقلابية تنطلق أساساً من منطلق واحد ألا وهو الوصول إلى السلطة وبغض النظر عن المدخل أو الوسيلة التي توختها من أجل الوصول إلى

ذلك، وهي بالأحرى تنطلق من مبدأ «الميكافيلية» الغاية تبرر الوسيلة.. وبهذا فإن كل الحركات سواء منها التي تدعي الثورة، أو غيرها من الحركات السياسية والإصلاحية ذات الحلول التلفيقية والانقلابات العسكرية فكلها ليست لها أية علاقة بالثورة بمفهومها الصحيح، وبالتالي، هي حركات انقلابية تأتي من منطلق الصراع على السلطة.

ذلك ما عرفه العالم وما سجله التاريخ عن تلك الحركات المفلسة والمزيفة، مما ترتب على ذلك بالضرورة فقدانها لثقة الجماهير وخسرت علاقتها بالتاريخ نفسه، وتحولت إلى نقيض تاريخي وحضاري معاد للثورة والشعوب معاً، وهذا الأمر الخطير يجعلها بالتأكيد تفقد مشروعية وجودها واستمرارها مهما حاولت إضفاء ثوب من المشروعية المزيفة على نفسها.. والمسألة أصبحت الآن واضحة وضوح الشمس في الغربال ولا تحتاج لأي تدليل على الإطلاق، ويكفي أنها دخلت في القاموس السياسي شأنها في ذلك شأن أدوات الحكم التقليدية السائدة في العام الآن والمتحكمة بذلك في الجماهير.

فالثورة في المفهوم الصحيح هي التي تنطلق من معاناة الجماهير الكادحة والمظلومة والمحرومة من ممارسة حقها

الطبيعي في الحياة، وتصوغ تلك المعاناة في نظرية شمولية متقدمة تحقق الحل البديع والعلمي لكافة القضايا والمشاكل المستعصية التي تواجه المجتمعات البشرية قاطبة، وتقوم بإيصال الجماهير إلى السلطة لتحكم نفسها بنفسها من خلال سلطة الجماهير التي لا سلطة لسواها.. هذه هي الثورة بالمفهوم الجديد، مفهوم عصر الجماهير الذي يزحف حثيثاً نحونا يلهب المشاعر ويبهر الأبصار، وخلافاً لذلك لن تكن ثورة على الإطلاق حتى وإن ادعت على أساس أنها ثورية.. إن كل الادعاءات زائفة وباطلة أمام الحقيقة المنطقية والموضوعية وفقاً لمبدأ القاعدة الطبيعية «لا نيابة عن الشعب والتمثيل تدجيل».. وبالتالي، حقاً فالثورة ليست حركة انقلابية تسعى من أجل الوصول إلى السلطة.

إن الثورة في مفهومها الجماهيري الجديد ليست بحركة انقلابية تقوم بها مجموعة من الجنرالات العسكرية في شكل تمرد على النظام وبهدف الوصول للسلطة.. وليست كذلك حركة حزبية مفلسة فاقدة للأهلية الاجتماعية وعاجزة عن المشاركة الحقيقية في صنع الحياة الكريمة الخالية من كافة مظاهر العقد النفسية البالية والتي غالباً ما تتستر

بشعارات براقة جوفاء وبدون محتوى، ومهما كانت طبيعة تنظيمها وتعدد مسمياتها فهي دوماً تلتقي في نقطة التقاء واحدة ألا وهي توظيف نضال الجماهير المتطلعة للحرية لمصلحتها وصولاً إلى السلطة التي هي مبتغاها الأول والأخير، ولكن الثورة الحقيقية هي ليست تلك الحركات المزيفة والمحتالة التي اتخذت من الشعارات البراقة ستاراً مغلفاً لتستر به ممارستها السلطوية من خلال موقفها المعادي للجماهير.

وعلى هذا الأساس تظل الثورة وفقاً لهذا المفهوم ليست حركة انقلابية تأتي في إطار الصراع على السلطة، ولا يمكن أن تكون كذلك مهما كان الأمر بل، ستظل دوماً محرضة للجماهير للقيام بالثورة لتصل تلك الجماهير إلى السلطة وتحكم نفسها وتسيطر على كافة مقدراتها المادية والمعنوية عملياً دون أية نيابة أو وصاية كانت، فتلك هي الثورة بالمعنى الصحيح، وخلافاً لذلك يدخل ضمنياً في إطار أدوات الحكم التقليدية السائدة في العالم والتي تمارس الدجل والنفاق والضحك على الجماهير باسم الديمقراطية المزيفة.

إن أية ثورة مهما كان هدفها ـ سياسياً أو اقتصادياً أو

اجتماعياً أو تحريرياً ـ، ومهما كانت المبادىء والقيم التي تنطلق منها وتعمل من أجل الوصول إليها، وبمجرد وصولها للسلطة والحكم نيابة عن الجماهير فهي لم تعد ثورة على الإطلاق بل. . ستكون حركة انقلابية شأنها في ذلك شأن كل الحركات السياسية المعاصرة التي وظفت الجماهير لمصلحتها من أجل الحكم، وبالتالي، فقدت هويتها وميزتها الثورية وخسرت علاقتها بالجماهير وفقدت الثقة بها، الأمر الذي ترتب عليه سقوطها في المحظور التاريخي الخطير وتحولت، بالتالي إلى سيف مسلط على رقاب الجماهير. . فتلك حقاً هي حركة انقلابية وليست بثورة مهما حاولت إنكار ذلك.

بل ليس هذا فحسب وإنما. . أصبحنا نسمع في عالمنا المعاصر عن أشياء كثيرة تتعلق من حيث اللفظ باسم الثورة أصبحت تطلق فيها تلك الحركات المفلسة والانقلابية على نفسها لتستر بها عورتها السياسية في إطار الصراع المدمر على السلطة، وبالتالي، صرنا نسمع عن مسميات متعددة ومختلفة من حيث اللفظ فقط في استخدام المصطلح أو المفهوم، ولكن الهدف واحد وإن تعددت المسميات واختلفت الأنماط والأشكال باختلاف وجهات نظر

أصحابها، ألا وهو كلها تحكم دون الجماهير ونيابة عنها، فتلك هي القضية الأساسية والجوهرية في جدلية الصراع بين الجماهير وأعدائها مهما حاولوا أضفاء نوع من المشروعية المزيفة سواء كانت سياسية أو ثورية، فتلك مسألة انكشف أمرها على حقيقته بالنسبة للجماهير وذلك من خلال المفهوم الحقيقي للثورة التي ليست بحركة انقلابية.

ومهما يكن الأمر فالذي ينبغي أن يفهم هنا فهماً صحيحاً هو أن كل الحركات السياسية والتاريخية المعاصرة سواء ادعت بالثورة أو لم تدعي فتلك مسألة ليست ضرورية بمقدار ما هي مسألة شكلية هذا من جانب، ومن جانب آخر.. تظل مسألة حكمها دون الجماهير ونيابة عنها المسألة الأساسية والضرورية التي أسقطتها من مفهوم الثورة وتحولت من خلالها إلى طرف معاد للجماهير، وبالتالي، هي حركات انقلابية وليست ثورية بديهياً باعتبار الثورة وفقاً لمفهومها الجديد تعني كشرط أساسي من حيث الممارسة فصل الثورة عن السلطة العدو اللدود لها.

فالثورة وفقاً لما تطرحه النظرية الجماهيرية الجديدة ـ نظرية الانعتاق النهائي ـ ليست اسماً بدون محتوى ـ

وليست حركة انقلابية تسعى إلى الوصول للسلطة، وليست هي عمل التمرد والعصيان ـ وليست كذلك القيام بالمظاهرات أو احتجاجات معينة، فتلك أمور أو مسائل تقوم بها الجماهير متى كانت طبيعة الأمور غير متجانسة وغير ملبية لإشباع حاجاتها المادية والمعنوية وإنما. . الثورة الحقيقية تعني وضع الجماهير في إطار تنظيمي جماهيري جديد من خلال أسلوب الثورة الشعبية ثورة الغد، وتقيم المؤتمرات الشعبية واللجان في كل مكان ولتحل بذلك ـ بداهة ـ أدوات الحكم التقليدية بوصول الجماهير للسلطة ويتم قطع خط الرجعة نهائياً على تلك الحركات الانقلابية المفلسة التي تسعى عن طريق محاولاتها اليائسة استغفال الجماهير من خلال الشعارات البراقة التي تتستر بها دوماً في إطار عمليات الدجل والنفاق ذلك هو الوجه الخطير لهذه الحركات، فالثورة بمعناها الجديد ليست بحركة انقلابية على الإطلاق.

المبحث الثاني

استمرارية الثورة

لم تبق مسألة تحديد ماهية الثورة بالأمر العسير، كما أن الاختلاطات التي يمكن أن تقع فيها بين الأشكال الكثيرة التي قد تكون هي الثورة أو تكون مسخاً لها وتشبثاً بها، هذا الاختلاط لم يبق سيد الموقف، بل أصبح من السهل أن نستعمل الإدراك لكي نميز «من خلال المواصفات الموضوعية لأي شكل من أشكال التغيير» بين ما هو ثورة بمعناها الحقيقي المستند إلى الشروط العلمية، وبين ما لا يعدو محاولة لمسخها، ولا يحمل منها أكثر من اسمها.

إن المقياس الحقيقي ـ إذن ـ لا ينفرد بعملية إبعاد أشخاص في سلطة ما، وإحلال آخرين يختلفون عن السابقين في كون السابقين يحملون كثيراً من الإدانات، بينما قد تكون صفحة الجدد لا تحمل إدانات، لأنه لم يتح لنا أن نكتشفها. . ولا يعني ذلك أن تلك الصفحة تحمل الإيجابيات كلها. . وإذا كان لأية ثورة محور إساسي لا

يمكن أن تفترق عنه، وهو اعتمادها على الجماهير التي تشكل محتواها الاجتماعي وانتماءها الحقيقي لها، فإن هذا المحور ـ على ضرورته ـ لا يعطي ـ وحده الهوية المميزة للثورة، والتزكية النهائية لها.

إن الثورة التي تعتمد مسلكها المميز بإبقاء الصلة الحية بينها وبين الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في وجودها واستمرارها فهي لا تستحق التسمية، ما لم تستند إلى ركائز تحميها من الانحرافات والسقوط في المنزلقات الخطيرة.

إن مشروعية قضايا الجماهير ومطالبها الحياتية ليست محل جدل بالتأكيد، لكن استيعاب هذه القضايا وصياغتها في مسلك ثوري يجعل الجماهير ذاتها هي المتحركة في طريق التحقيق ومن أهم المسالك التي تعطي شرطاً هاماً لثورية أي تغيير.. وعلى هذا الأساس، فإن الثورة بمفهومها ـ عمقاً وشمولاً ـ تتطلب بالضرورة ـ وعياً كاملاً لاستراتيجياتها ـ المعتمدة ـ أساساً على الفكر العلمي الموضوعي، المنبثق من تحليل دقيق للواقع الاجتماعي والقوى المتحركة فيه، والمرتبط ـ في الوقت نفسه ـ برؤية واضحة لواقع الممكنات المتوافرة لدى الثورة، وطبيعة القوى المعادية لها والتي تجابهها، والقوى التي تساند الثورة أو تنتسب إليها عبر نهجها الواضح والمحدد.. وهذا

يحدد لنا ـ بشكل قاطع ـ أن الثورة تبدأ بفكر منسجم مع النظرة العلمية والواقع التاريخي وطبيعة الظروف الموضوعية التي أنضجت الفكرة ذاتها، وبالضرورة فإن الفكر لا ينبت في الهواء، وإنما يتجسد دوماً في القوى الحية التي استوعبت ـ قبل غيرها ـ التصور الواضح لعملية الهدم والبناء وألقت على عاتقها مسؤولية تحريض الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة.. والدفع بها في ثورتها لكي تعطي الثورة أبعادها الاجتماعية الحقيقية، بقدر ما تسهم بتجسيدها في الواقع الحياتي.

فالثورة ـ إذن ـ لا بد لها من فكر يهيىء لها أدوات تجسيد هذا الفكر وتضع نفسها في موضع مسؤولية تحقيقه، واستيعاب كامل لكل الملابسات التي تجابه العمل الثوري، ومدى القدرة في تمحيصها تستطيع الثورة منها أن ترسخ نفسها بشكل دائم، وبمعادلة تصاعدية في شروطها التاريخية والموضوعية، وإذا كان هذا العرض ضرورياً فمن أولى البديهيات أن الثورة ليست غاية في حد ذاتها وإنما الغاية هي وصول الجماهير للسلطة لتحكم نفسها بنفسها، وهذا يعود ـ بالضرورة ـ إلى أن استمرار الثورة هو الهدف الدائم لأي ثوري.

ولا ينبغي أن يفهم أن الاستمرار هو امتداد إلى شكل معين من أشكال التغيير، فالاستمرار يعني التطور والتقدم والاستعداد الدائم لاستقبال جديد ينسجم مع الثورة، ويزيد زخمها ويسهم في زيادة قابلياتها على التحرك والتأثير.. فالاستمرار - إذن - لا يعني الجمود وإلغاء التطور.. وإنما هو - بهذا المعنى - سيشكل - بالتأكيد - ظاهرة تقال نحو الأفضل بالنسبة للثورة - ولا يجعلها شكلاً من أشكال التخلف قاصراً عن مواكبة قضايا الجماهير الأساسية، وبالتالي، فليس السؤال المطروح - إذن - كيف تبدأ الثورة؟

وإنما كيف تتحقق بمعناها الصحيح؟

الأداة الثورية وسيلة تطوير الثورة وديمومتها

وبعد، إن جاز القول في إطار الانتماء الثوري وعملية استمرار الثورة، ليس من آفة أشد على الثورة والثوريين من تلك النظرة التجريدية التي تضع الثورة - بكل ثقلها - في محاكمات فكرية لا حصر ولا طائل لها، قد تنتهي بتشتيتها، وبالتالي تصفيتها في انشطارات وانقسامات متعددة أو تحويلها إلى هيكل جامد ليعيش عزلته القاتلة

داخل قوقعته المغلقة، وعلى ضرورة الفكر الثوري والنظرية التي تستوعب القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإن الخطوة الأولى التي تنزل هذا الفكر من سمائه وتقضي على هلاميته السائبة هي في ربطه بالإنسان الذي يتمثله تماماً ويستطيع أن ينقله للآخرين فكراً ومسلكاً. . فالثورة بمعناها العلمي إذن، تبدأ حين تجد المؤمنين القادرين على التبشير بها ونقلها إلى جماهيرها بالممارسة الحقيقية الدائمة لها، ومن خلال هذه الممارسة يمكن أن تبرز إلى الوجود المعادلة الثانية «ممارسة تنطلق من استراتيجية ثورية مبنية على إيديولوجية شمولية وتعميق للإيديولوجية ذاتها وتحديد للاستراتيجيات من خلال نفس الممارسة المرتبطة أساساً بالواقع الحياتي للثوار».

وكما تأكد دائماً أن الثورة ليست غاية في حد ذاتها، فأداة الثورة ليست غاية هي الأخرى، وبالضرورة فلا يفيد الثورة في شيء أو يحركها من مواقعها انخراط جنود جدد في صفوفها قد يشكلون كماً مهماً بالاعتبارات الظاهرية للموازين، إلا أنهم في الوقت ذاته قد يكونون عبئاً على الثورة ووقعاً لها في طريق تناقضها. . فبناء الثورة إذن يعتمد على بناء الثوري نوعاً، وعلى أساس مواصفات تبقى

دائماً المقياس السليم لصحته وقدرته على الاستمرار عنصراً فعالاً في تحمل مهمامها التاريخية.. ولسنا نريد أن نعدد مواصفات محدودة تشكل قالباً سميكاً يخنق الثوريين ضمن جدرانه ويمنعهم من التأثير ويسد عليهم كل المنافذ التي تعطيهم الحياة.

إن المنتمين ثورياً ـ ببساطة واختصار ـ هم ذلك الإنسان الذي قطع بشكل نهائي صلته بكل الظروف والأسباب التي برّزت الثورة، هو الذي ثأر على الولاءات كلها وظل أميناً على ولاء واحد هو الولاء بالانتماء للثورة فكراً ومسلكاً، هو الذي يحدو الثوري ويميزه عن غيره ويحول دون التباسه بالآخرين، ذلك الموقف الذي ينطلق دائماً من العلم والثقافة والرؤية الواضحة والحس الصادق والالتصاق بضرورات الجماهير والتفتح لها.. ولها وحدها.. والعلاقة الصحيحة التي تحكم سلوكية أي ثوري، وبالتالي تنعكس على الثورة ذاتها، تكون دائماً مقرونة بمدى انشداد الثوري إلى قضيته التي انقطع لها أساساً.

وهذا يعني بالتأكيد تمزيق كل العلائق الأخرى التي هي سمة التخلف الذي نعيشه اليوم.. ويبقى دور الثوري هاماً وفعالاً بقدر ما يستطيع أن ينقل أحاسيس الجماهير

المستغلة، ويضعها في الصيغة القادرة على تحقيقها، بشرط أمانة نضالية في عاتق الجماهير ذاتها. . والمهمة التي لا يعفى أي ثوري منها هي ضرورة تحديد نفسه والتخلص من كل ما يعلق به خلال مسيرته الثورية النضالية، ولا يمكن أن يكون كذلك ما لم ينطلق من موقف الإيمان الواعي بضرورته للثورة، وبالتالي فهو مطالب بتعميقها وتجديدها من خلال تطوير نفسه باستمرار وفق مستلزمات الظروف الجديدة التي تجابهها، وبدون أن يخرج عن المنطلقات الأساسية التي آمن بها أصلاً وكيّف نفسه لوضعها في واقع الممارسة لصالح قضية الجماهير. . والسمتان الأساسيتان اللتان يحتاجهما كل ثوري ويفقد ثوريته بدونهما الجرأة والصراحة فلا يمكن لثوري يضع نفسه في الاستعمار ومرتكزاته أن يتخلى عن جرأته في الحفاظ على المسيرة الثورية السليمة.

فالثوري الحقيقي الذي ينتمي للثورة من موقف الإيمان لا يمكن أن يستغني عن صراحته، وهو الذي يطرح نفسه محرراً للجماهير التي تشكل المضمون الاجتماعي لقاعدة الانتماء الثوري الشمولي، ويضع نفسه أمام التحديات الامبريالية المعتمدة على التزاوج الصهيوني الرجعي

والمصلحي.. هذا الثوري مطالب بالضرورة أن يكون جريئاً وصريحاً في نقد نفسه قبل غيره، لا لمجرد النقد، ولكن متى كان هذا النقد يساهم في دفع الثورة ويحول دون انحرافها.

والمعيار الذي يرجع إليه الثوري في سياق الانتماء ويصدر عنه دائماً ينبغي عليه أن لا يخرج عن الصيغ السليمة والتقاليد الثورية الأصلية المتولدة عن تلك الصيغة التي نشأ عليها وعلمها للآخرين قولاً وسلوكاً مهما يكن الأمر، وعلى هذا الأساس يحقق الثوري انتمائه الأصيل للثورة وجماهيرها صاحبة المصلحة الحقيقة في بقاءها واستمرارها وهو بهذه المواصفات يستطيع بالتأكيد المحافظة على الثورة وربط علاقتها بالجماهير والمساهمة في دفعهما معاً نحو تحقيق المجتمع الأفضل مجتمع عصر الجماهير.

الثورة والجماهير

ما دامت مهمة الثورة لا تقف عند حدود، فمهمة الثوريين في إطار الانتماء إليها هي بالتأكيد تجسيد هذه الحقيقة، وما دامت الثورة لا يمكن أن تعيش في الفراغ، فهي تحتاج إلى الجماهير شرطها الأول في الحماية والتطوير واحتياطها المتجدد الذي تسد به نقصها أو حاجتها عبر مسيرتها التي تفرض عليها هذه المسألة وتحفزها لسد أي نقص يطرأ على وسيلتها المحتاجة دائماً إلى التحريك والطاقات المتجددة.

وبقدر ما تكون الصلة حية وعملية بين أداة الثورة من جهة وبينها وبين الجماهير من جهة أخرى.. يمكن أن تكون صفة الثورية صفة صميمة في الثورة ذاتها، والثوريون وحدهم هم الذين يستطيعون أن يحكموا هذه العلاقة من خلال ممارستهم الحقيقة لها بالواقع، ويفرزون العناصر الثورية المؤهلة لتحمل مسؤولية النضال الثوري من بين

الجماهير وبين غيرها ممن تركت موجة المد الثوري لسبب أو لآخر ولا تمت إلى الثورة والغيرة عليها بأية صلة، فهم أي الثوريون يشكلون صمام الأمان الذي يحول دون تسرب الجراثيم القاتلة إلى قلب الثورة وهم في الوقت ذاته يمثلون أوسع الأبواب التي تغذي الثورة بالعناصر الثورية الشابة الجديدة القادرة على تزويد المسيرة الثورية باحتياجاتها من خلال نهجها النضالي الطويل.

فالمنتمون ثورياً هم دون غيرهم بالتأكيد الذين يستطيعون أن يميزوا بين الجمود القاتل وبين التسيب الممزق لحركة الثورة والمشتت للانتماء الثوري.. ومهمتهم هذه هي التي تجعلهم أكثر العناصر الثورية وفاءً وإخلاصاً بالانتماء دائماً وبدون حدود، ويختارون من بين صفوف الجماهير كل القدرات الثورية وتدفعهم إلى أن يمارسوا العمل ذاته داخل حركة الثورة، وبنفس الروح والقدرة اللامحدودتين.. وإذا كان من بديهيات القول أن توثيق الصلة بالجماهير شرط الثورة وتقدمها وتطورها.. فمن الأولى أن نؤكد أن توثيق هذه العلائق داخل الإدارة الثورية يأتي بالدرجة الأولى ضرورة وانتماءً وزماناً، فلا يمكن للأداة الثورية أن تسودها المفارقات وتحكمها

التطلعات اللامشروعة والروح الأنانية لأن ذلك ينعكس سلباً على الجماهير، ويثقلها بأمراض جديدة، وبالتالي تتسلم هذه الأمراض ثانية لتنخر بناء الحركة نفسها، وثم يسقط هذا البناء على نفسه وعلى الجماهير، فالضرورة تحتم إذن إيجاد أداة ثورية قوية متماسكة متفهمة لمهامها.. تشد الأواصر الوثيقة بين أعضائها لكي يستطيعوا أن يوثقوا هذه الأواصر مع الجماهير، وبذلك يؤكدون عملياً تجسيد الثورة على حقيقتها كائناً حياً متنامياً، يحرص على كل عضو من أعضائه بقدر ما يحرص على بتر كل المفاسد التي قد تهدده بالفناء أو بالعجز.

ديمقراطية العمل الثوري

إن أية ثورة لكي تأخذ أبعادها الحقيقية تلتزم دائماً بتجسيد منطلقاتها داخل البنية الثورية ذاتها، وإن وأية ثورة بهذا المفهوم لها عمق وشمولية تنتهي بتحقيق الإنسان المتحرر، ولكي تستطيع خلق الجو الديمقراطي السليم البناء داخل المجتمع فهي ملزمة بأن تحقق هذا المستوى الديمقراطي داخل حركتها الثورية، فالديمقراطية الثورية ليست ترفاً أو رغبة فرد أو جماعة بقدر ما هي ضرورة أية ثورة لحمايتها وحماية المنتمين إليها، وفي الجو

الديمقراطي وحده يستطيع الثوريون أن يتعاملوا على أساس موضوعي واحد هو خدمة الثورة من خلال الوقوف في وجه كل الزيف أو التطلعات الفردية غير المشروعة والسلبيات التي تهدد الكيان الثوري برمته.. والديمقراطية في العمل الثوري هي مسألة هامة وضرورية وهي وحدها التي تحول دون تراكم الأخطاء التي تؤدي إلي انحراف بعض الثوريين قبل أن يؤدوا دورهم الكامل ومهامهم التاريخية المنوطة بهم.

وعلى هذا الأساس فالديمقراطية بالنسبة للعمل الثوري عملية ضرورية لا بد منها من أجل ممارسة النقد الجريء البناء المبرأ من أي غرض كيدي أو شخصي أو مصلحي، وهي الصيغة الأولى القادرة على منع الانقسامات والخلافات داخل البنى الثورية، أو تقليل تلك الخلافات وتضييقها إلى الحد الذي تصبح معه فرزاً ضرورياً لكل ما يعلق بالثورة من شوائب أو معوقات.. فالثوريون بهذا المقياس يعملون وفق ضرورات الثورة من أي موقع كان ويؤدون مهامهم بالحركة من خلال القدرة والاستيعاب وهي التي تمنحهم الشجاعة الأدبية في محاورة الآخرين وتوصل قضية الثورة لهم.

الثورة بين الجمود والمزايدة

من الخطأ وسذاجة الرأي أن نتصور مثلاً الثورة تمارس مهامها بمعزل عن قوى كثيرة تعاديها أساساً، أو تحالفها مؤقتاً، لتطعنها وتقضي عليها متى كانت الفرصة مؤاتية، والممارسة الثورية ليست عملية يمكن أن تتم على أساس رسم خطوط مستقيمة وفق مقاييس هندسية دقيقة، فباعتبار الثورة ـ أساساً ـ تغييراً لكل ركائز التخلف وبناء على أسس علمية تستهدف مصلحة الجماهير وتضعها «أي الجماهير ومن خلال النضال» في المواقع الأمامية للدفاع عن ثورتها، بهذا الاعتبار يمكن أن نتصور القوى المعادية ومواقفها من الثورة والتي تمرحلها تبعاً لقوة الثورة أو ضعفها واستناداً إلى الظروف المؤاتية لكل من الطرفين النقيضين، ومن نفس الاعتبار يمكن للمنتمي الثوري الواعي الركن الأساس تدعيم الثورة وحمايتها من المنزلقات الخطيرة التي تحاول شتى القوى دفعها إليها.

ولهذا ينبغي على الثوريين فهم مثل هذه الأمور فهماً صحيحاً وخاصة من خلال ممارستهم للثورة في الواقع، ويجدون أنفسهم أمام كل المخاطر التي ألحقت أضراراً جسيمة بالمجتمع بصورة أكبر من الواقع النظري الذي كانوا

يعيشونه، وهنا يكون حسم الموقف لصالح الثورة دائماً من خلال المبادرة «الاستجابة والإقدام» التي تعطيها وجهتها الثورية التقدمية وصلتها بجماهيرها، وتحول في نفس الوقت دون انجراف في المواقع التي تسهل دائماً على أعدائها فرض طوق عليها لتصفيتها أو شلها مؤقتاً، حتى تتكامل لديهم الأدوات لتسديد ضربتهم المباشرة الماحقة.

وهنا يجب أن نميز بين موقفين رئيسيين يواجهان الثورة وبالتالي قد يدفعهما كل منهما إلى أخطر المزالق إذا افتقدت الحس الثوري والوعي الكامل في وضع خطواتها على نهجها المرسوم المحدد:

الأول، موقف يميني رجعي متخلف يحاول أن يبالغ في المخاطر التي تترتب عن عملية تصعيد الثورة عند قيامها بإجراءات ثورية في الواقع، إن هذا الموقف يمكن أن يدفع إلى صفوف الثورة من يحاول أن يعوقها باسم العقلانية المميتة والنظرة الموضوعية المتلبدة، وبالتالي يحكم عليها بالاندحار ويضعها في موقف القصور والتخلف والعجز.

أما الثاني، فهو لا يقل خطورة عن الأول ولا يختلف كثيراً عنه في نتائجه فهو يعرف أحياناً بطرح يساري طفولي قد يجيء من الأعداء لغرض الإحراج، وقد يأتي من بعض

الثوريين أنفسهم نتيجة فقدانهم الرؤية الواضحة وتمسكهم بالذهنية المجردة البعيدة عن الاهتمامات بالممارسة الواقعية للثورة.

هذا الطرح يتطلب من الثورة أن تتخذ إجراءات ثورية ضرورية وعاجلة في نفس الوقت، وتصلح أن تكون في المقياس العلمي ثورية دون الاهتمام بطبيعة المرحلة أو الظروف التي تجتازها الثورة، وهذا الموقف سيؤدي بداهة إلى ارتكاب حماقات تنتهي في أغلب الأحوال بخدمة موقف اليمين الرجعي على حساب الإجراءات الثورية، إذا لم تستطع الأداة الثورية الواعية التحكم بعامل الزمن المهم في هذه الحالة وتسخيره لصالحها.

إن الخطورة في هذا الطرح مزودجة تجعل الثورة موضع اتهام من قبل الجماهير التي تم استغفالها من قبل اليمين هذا من جهة، ومن جهة أخرى.. قد تزجها في معركة خاسرة قبل أن تكون مؤهلة لخوضها.. وثمة حقيقة أخرى لا يمكن تجاهلها وهي أن مسألة التثقيف النظرية للجماهير، والذي دأبت عليه الأداة الثورية كثيراً كان ساذجاً ومفتقراً إلى أبسط المفاهيم الواقعية والعلمية، فلكي تكسب تلك الأداة كما جماهيرياً كانت تتصور ـ مثلاً لهذه

الجماهير ـ أن مجرد التغيير يحقق الحياة المثلى التي تصبوا إليها، وهذا الموقف على بعده عن الواقع يشكل مسلكاً خطيراً للغاية وإحراجات كثيرة لأية ثورة تفقدها جماهيرها حين تصطدم بالعمل والواقع اللذين يؤكدان عملية التغيير وقد تؤدي في مراحلها الأولى على الأقل إلى أوضاع قاسية وصعبة.

ومن هنا فإن مهمة الثوريين في هذا المجال أن يبتعدوا عن كيل الأحساب وأن يصارحوا الجماهير بأن الثورة ستحقق لها كل ما تريد، ولكن مقابل الثمن والجهد المبذول الذي تدفعه الجماهير ذاتها من خلال النضال القاسي واختصار الزمن، وعن طريق المساهمة الجدية للجماهير للوصول إلى أهدافها التي ارتضت أن تدفع حياتها ثمناً لها. ولكي نبعد الثورة عن التبلد والجمود باسم الواقعية، ولكي نبعدها عن المواقف المنفعلة جرياً وراء استجداء اليسارية مثلاً ينبغي أن يكون الثوريون ممتلكين للمعيار الدقيق والحساس لحرق المراحل دون أن يحرقوا الثورة ذاتها.. وعلى الجماهير أن تدرك أن أية ثورة لا تمتلك خاتم سليمان أو مصباح علاء الدين لتلبي كل شيء بدون دفع الثمن وفي لمح البصر.. إن الثورة تمتلك الفكر

والمنهج الواضح والمحدد الذي يعالج كافة القضايا والموضوعات الإنسانية الهامة معالجة شمولية تستطيع الجماهير عن طريق تحمل مسؤوليتها بنفسها ودون الاعتماد على الغير أن تلبي كل الحاجات المادية والمعنوية وذلك من خلال امتلاك إرادة التغيير والإيمان بنفسها على أنها هي الأدوات القادرة على التغيير الثوري.

الفرد والثورة

إن الإنسان هو الجوهر وعلى الثورة أن تقع داخل هذا الإنسان وفقاً لهذا التعريف الصادق والشمولي في علاقة الإنسان بالثورة، أو علاقة الثورة بالإنسان ضمن الانتماء الحقيقي إليها، وبالتالي يصبح الإنسان السوي. . والإنسان الكل. . هو الهدف والغاية والوسيلة التي يعتمد عليها في استيعاب الثورة وفلسفتها وأسلوبها الثوري في مواجهة الواقع الذي يتواجد فيه ذلك الإنسان، وفهم كافة العلاقات الاجتماعية المختلفة فهماً صحيحاً ومعالجتها. . معالجة جذرية. ومن منظور الحل الأمثل الذي تطرحه النظرية العالمية الثالثة نظرية الانعتاق النهائي، فالإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً بطبعه يختلف كلياً عن غيره من سائر الكائنات الأخرى فهو مطالب بتحمل المسؤولية الكاملة الملقاة على عاتقه في الانتماء للثورة أولاً، وثانياً في ممارستها بمفهومها الصحيح أين ما وجد وأين ما حل،

وذلك من أجل تحقيق ما يطمح إليه من حرية وسعادة وتقدم ورقي في حياته المنشودة.

ولهذا السبب هو مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى باكتشاف نفسه من منظور نظرية الثورة ذاتها، وتحديد موقف واضح وصحيح يجعله بالضرورة قادراً عملياً على أن يرتبط بها ارتباطاً مصيرياً ويسهم بتصعيد الوعي الثوري على كافة المستويات، وبتفجير كل التناقضات بين قوى الثورة وأعدائها، محققاً بذلك المشاركة النضالية (الواسعة والعميقة) للجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة والمهيأة نفسياً واجتماعياً وحدها لخلق المعنى الصحيح للانتماء الثوري الأصيل.

إن كل محاولة من شأنها تجاهل هذه الحقيقة أو التشكيك في ذلك، تشكل موقفاً مضاداً للثورة، يتيح أو يساعد القوى المعادية من امبريالية عالمية وصهيونية ورجعية على تنفيذ مخططاتها الجهنمية، والتي تستهدف بالضرورة القضاء على هذا الإنسان السوي الذي هو خليفة الله في الأرض، فتلك هي الحقيقة التي لعلها غائبة بشكل عام عن إنسان هذا العصر الذي تطحنه طاحونة الامبريالية العالمية والصهيونية والعنصرية يومياً دون أي تساؤل لماذا؟

ليس غير الحرية يوهج الثورة، الحرية لإنسان الثورة هي تخصب الأرض الثورية، وهي تنشط خلاياها.. وانطلاقاً من ضرورة الإنسان وأهميته في الانتماء إلى الثورة، وما تحتمه هذه الضرورة، عليه أن يتحمل المسؤولية التاريخية والإنسانية في الالتحاق بركب الثورة لأجل مقارعة القوى المعادية والتصدي لعدوانها المباشر وغير المباشر من خلال قوة الإرادة وعزيمة الثوار، والدفع بالثورة إلى الأمام وباستمرار.

ومن هنا فالإنسان أيّاً كان موقعه، فهو مطالب بالانتماء الثوري وظروف الموقع، وقوانينه هي التي تحكم مجرى هذا الفعل وتحدد فيه عمقيته. إننا في وجود كل ظواهره ومعطياته الإيجابية والسلبية نؤكد ضرورة الدخول إلى أرض الثورة وذلك من خلال الانتماء إليها، وهذه الأرض هي المجتمعات المستعبدة والمستغلة، وليس معقولاً مثلاً أن تستمر شعارات الوهم والغيبة والعموميات التي تشكل العجز والفشل والكسل اللاإنسانية وبالتالي تحرق أرفع خيط للانتماء الحقيقي عند الفرد، وكذلك ليس ممكناً قبول الواقع الآلي الذي يزج الفرد في ذاتية البحث ضمن دائرة الإمكانية التي تنعكس على هذه الذاتية.

إن عصراً متفوقاً كهذا العصر يحمل جملة وتفصيلاً من

الإنجازات المادية والخطيرة في نفس الوقت، بحيث يصبح قبولها في بعض الأحيان أمراً مستغرباً كل الغرابة بل ليس بالإمكان تجاهلها أو السكوت عن ذلك، ولا بأس من الإشارة هنا إلى قدرة وعبقرية الإنسان، إن عصراً كهذا يثير الرعب لأنه يحمل الدمار ويختبره كل يوم في الوجودات المختلفة والحادة التخلف بدلاً من محاولة صادقة تقصد مساندة وإصلاح هذه الوجودات.

إن الإنسان في هذا العصر الحديث والمعاصر يتميز عن إنسان كل العصور السابقة لأنه وبشكل يومي يحاصر بالعديد من الأسئلة مثل: أين، وكيف، ومتى؟ أين أنا؟ وكيف أحقق كونية مستقبلية وهادفة، ومتى ينتهي هذا الدمار من العالم؟ متي تنتهي عمليات الإبادة والتشويه التي تمارسها قوى الاستعمار والرجعية، متى يدرك إنسان الولايات المتحدة الأمريكية، أنه يحمل كل أدوات التحقير الإنساني للشعوب؟ ومتى يدرك المتأمركون وأتباع السياسة الأمريكية أنهم ذهبوا فريسة بمعيشتهم التي يرزقون بأمصالها من كل الصادرات الأمريكية؟ ومتى يعلم محاورو السياسة والعلم والإنجازات الأمريكية، أن حوارهم يزيد من التحديات الأمريكية للشعوب؟

أسئلة على مستوى اليوم واللحظة؟ محاصر بها، إنسان المستقبل.. إنسان الثورة، وإن لم يتحرك باتجاه الفعل الثوري فإنه يشكل سقطة جديدة ترتمي في أوعية الكل الإنساني، وتترك المناخ ملائماً للتحديات الامبريالية والقوى المتحالفة معها.

فالإنسان المنتمي ثورياً أكثر من غيره، مطالب ضرورة بالفعل، مطالب بالدخول، مطالب بالموت من أجل الحياة.. مطالب أكثر، لأنه مهدد أكثر، لأنه مطارد أكثر، لأنه مفاجأ أكثر.. وحتى لا يتدحرج، في قبضة الهزيمة التي امتصت حركته زمناً عليه أين يحقق وجوداً ثورياً.

عليه أن يتخلص من غيبيات حكمته فعطلته، ويتمرد على شكليات وفدت إليه فأسرته، ويتحدى التشاؤم والشحوب والهروبية، يتحداها وقد سافرت في جسده وفكره، فتركته لاهثاً وراء نفسه، يفتش فيها عنه، حتى يستوعبه الإعياء.

إن الإنسان الذي قرأ واقعه، رأى فيه الغريب من التناقضات، والكثير من ظواهر التخلف، للحظات.. الانتصار وأيام الهزيمة.. ساعات النضال، وشهور الاتكالية.. هذا الإنسان أكثر من غيره مطالب بالفهم

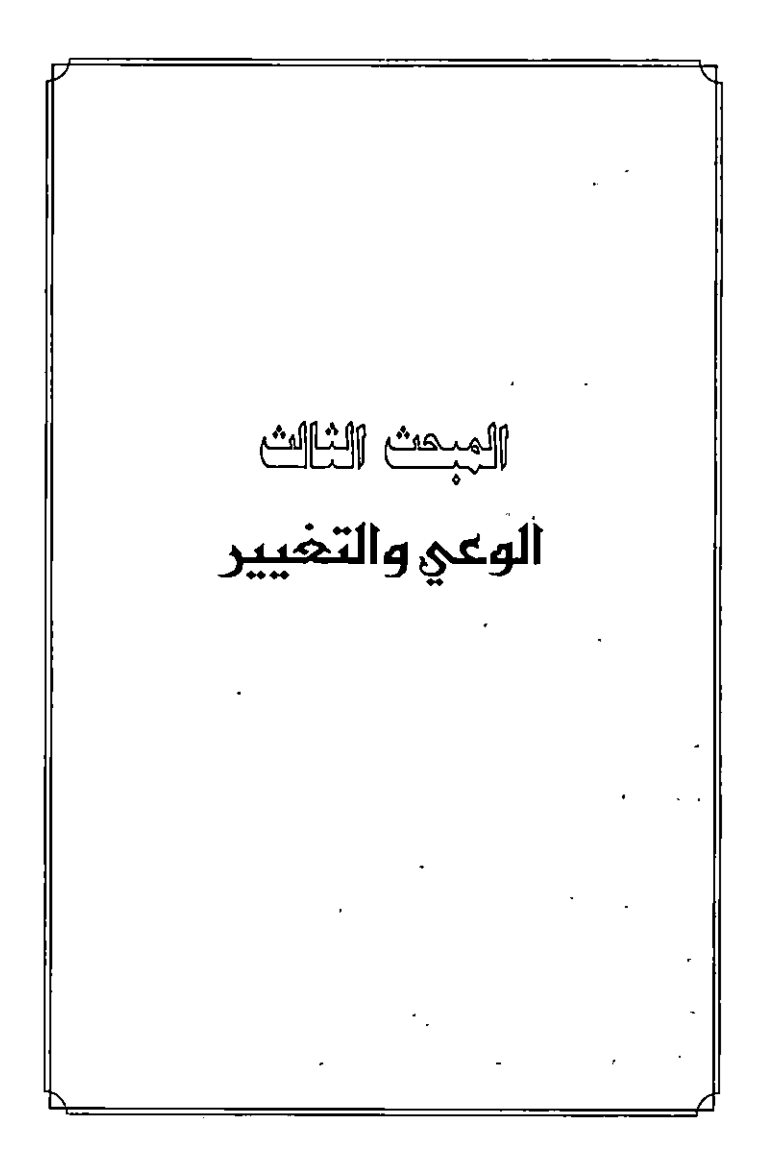
الواعي والحقيقي لما يدور حوله من أمور شتى قد تمسه بشكل مباشر وغير مباشر لكي يتخذ حيالها موقفاً صحيحاً يمكنه من الانتصار النهائي في إطار سعيه الدؤوب نحو تحقيق الحرية.

فمثلاً ـ الإنسان العربي مطالب أكثر من غيره بالوعي الحقيقي للأراضي العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج بكل أقطارها وتاريخها ونضالاتها وهزائمها، من الأربعينات وما تبعها حتى الهزيمة وما تبعها. من واقعية النضال الذي مارسته حركة الثورة العربية ضمن النضال التحرري بشكل عام، ومن واقعية التآمر والخيانة التي خلفتها ومارستها قوى الاستعمار والرجعية.. إن الإدراك الشامل لكل الظروف والحيثيات التي رافقت الانتصار والهزائم، بدءاً من الاستقلال ونكبة فلسطين الغاصة الحادة في الجسد العربي مروراً بالتغييرات والتحولات في الوطن العربي، التي تلت النكبة، قضية يتحمل مسؤولياتها الإنسان العربي المستقبلي الهادف في أي قطر كان، وهذه المسؤولية تحتم عليه المشاركة في خلق المسيرة إلى الثورة رغم الظروف الصعبة. والأخطاء الرهيبة التي منعت انطلاقة هذا الإنسان، وهنا لم يكن المنع من القوى المضادة أكثر من

القوى الهادفة، والتي أخذت على عاتقها مهمة التغيير لصالح الجماهير.

وحين يجد الإنسان، نفسه أمام الزلزال المروع مثل نكسة 1967 افرنجي فإنه يتدمر في نفسه، يغيب يصرخ لكنه يستيقظ على الواقع الحقيقي، وهو يسأل: من يتحمل المسؤولية؟ أنا، هم، أنتم؟ والجواب: كلنا نتحمل المسؤولية بدرجات متفاوتة. أفراداً، وشعباً، من البديهي ألا نحمل جزءاً من المسؤولية لقوى الرجعية العربية ذلك أنها، بدون جدل، ولماذا؟ مع هزيمة الإنسان العربي، وإبقائه متخلفاً، والعمل على أذعنته بصورة دائمة للواقع الصعب. . لقد كانت الصدمة قاسية. . إن الأحلام التي رافقتنا. . والانتصارات التي عشناها بطريقة ـ تغبوية ـ والحلول الجاهزة التي وعدنا بها كلها كونت عوامل المفاجأة.

ولهذا السبب، وحتى لا نفاجأ، يجب أن ندخل أرض الثورة ـ الثورة الحقيقية ـ الثورة الفعل في الانتماء والالتزام بالممارسة. . الثورة الإنسان مستفيدين من كل التجارب النضالية لهذا الشعب وقواه الثورية التقدمية ومن كل تجارب الشعوب المكافحة.



المبحث الثالث

الوعي والتغيير

إن عملية الوعي بالتغيير هي أخطر عملية تواجه أي عمل ثوري في المحاربة بالواقع، وبقدر خطورتها تكون الضرورة المسلحة لها في إطار الانتماء الثوري ولا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.. ومن هذا المنطلق تصبح مسألة تناولها مسألة مهمة ومفيدة لأجل زيادة المعرفة والفهم، وبالتالي، فهي مسألة تدخل ضمن بناء الإنسان البناء الواعي والمسؤول لكي يستطيع مواجهة حياته ومتطلباتها بنفسه وتحمل كافة التبعات المترتبة أساساً على هذه الحياة التي ينشدها الإنسان ذاته ومهما تكن النتائج.

فالوعي والتغيير مسألة أساسية وجوهرية وحساسة في الانتماء الثوري وبدونها لا يمكن أن يتحدث الانتماء الحقيقي للثورة، بل بدونها لا تستطيع الثورة إحداث التغيير الجذري المطلوب في طور حركة المجتمع، ولهذا فهي

تبدأ من الأساس لتكوين المجتمع ثم تمر بكل المستويات الاجتماعية المختلفة، وتكون الأسرة بالضرورة البنية الأولى التي يتم التركيز عليها بالوعي والتغيير باعتبارها تشكل حجر الأساس لأهم بنية من المجتمع هذا من جانب، ومن جانب آخر.. لكي يكون التغيير مجد ومفيد في عملية بناء الإنسان القادر على مواجهة كل التحديات ومعتمد على نفسه وليس سواها.

فمسألة الوعي بالتغيير إذن، هي مسألة مهمة وحساسة ولا يمكن أن تكون إلا من داخل المجتمع ذاته وتبدأ بالإنسان، المفروض تصل إلى الإنسان الكل أي المجموع، وهي في الأساس محاولة جادة لتحقيق المعرفة الذاتية، وإذا كان الوعي الصحيح أساساً للنقد البناء فهو أيضاً أساس السلوك العقلاني الذي قد لا يقبل المنطلق الثوري في الكثير من الأحيان.. ومع هذا فإننا نرى أن أي تغيير فعلي في مجتمع ما لا يمكنه أن ينبثق إلا من صميم ذلك المجتمع «أي بتغيير الذات».. فالتحرر الصحيح لا يمكن أن يحصل إلا من خلال عملية تنبثق هي الأخرى من قلب المجتمع «أي التحرر الذاتي».. كذلك نقول بأن المعرفة السليمة لذلك المجتمع لا بد أن تصدر عن

المجتمع نفسه، وإذا كانت المعرفة تقصد العمل لا الفكر المجرد فحسب فيجب أن تكون معرفة ذاتية قائمة على أساس معرفة النفس ومستحدثة من اختيار داخلي صميم.

ولهذا من خلال تناول هذا الموضوع ألا وهو «الوعي بالتغيير» في سياق الانتماء الثوري، نعي جيداً بكل مصداقية ومعرفة ذاتية ما نهدف إليه، وفي الوقت ذاته لا نغفل ما قد يتعرض إليه هذا الموضوع من كل أنواع الهجوم من جانب البعض أو من جانب المجتمع المستهدف بذلك والموجه إليه الحوار والتحليل.. ليس هذا فحسب وإنما قد يتهمنا البعض بارتكاب الأخطاء والمغالطات، وقد يقدم البعض الآخر على رفض بعض فرضيات التحليل ونتائجها.. كما إننا قد نتهم من الوهلة الأولى لدى بعض العاجزين عن «تحقيق الذات»، بالنية السيئة بسبب «قولنا أشياء كهذه» عن بني قومنا، كذلك فإننا قد نتهم من قبل «البوليس السري» بمؤازرة أعدائنا لمجرد أننا نسمي الأشياء بتسمياتها ونقدمها على حقيقتها لكي ينتهي الجهل من خلال تحقيق المعرفة الذاتية لكل إنسان.

وعلى أية حال فلنترك هذه التوقعات وشأنها ولنستمر في عملية الشرح والتحليل للموضوع المهم المرتبط ارتباطاً

وثيقاً ومباشراً بالانتماء الثوري، ولندخل رأساً فيما نهدف إليه في هذه العجالة كثمن يجب علينا دفعه لتحقيق المعرفة الذاتية التي نصبو إليها لكي يتحرر الإنسان، ونبدأ بالتركيز على قضية مهمة في إطار الوعي بالتغيير، وهي الأسرة وتكوين الشخصية في إطارها مع التركيز على الارتباط الموجود بينها وبين المجتمع الذي تعيش فيه، وعلى أثر طرق تربية الأطفال وتجاوب الطفولة في تكوين السلوك الاجتماعي في الفرد، ثم نحاول تقديم بعض الآراء عن كيفية المعالجة بقدر ما يسمح لنا به الوقت.

المهم، من الضروري أن نشير هنا إلى أن السهولة النسبية في وصف الارتباطات القائمة بوضوح بين الظواهر لا تقابلها سهولة مماثلة في تبيان العلاقات الخفية القائمة بين هذه الظواهر.. مثال ذلك، عندما نقول بأن تخجيل الطفل يؤدي إلى إضعاف شعوره بالذنب وبالتالي إلى إعاقة نمو الأنا الأعلى.. عند الراشد فإننا بذلك لا نقول بوجود علاقة سببية ضرورية.. عند الراشد، بل إننا نكتفي بتوضيح الروابط التي يمكنها أن تفسر الظواهر الاجتماعية أو النفسية عندما يتم النظر إليها في إطار معين.. إن إمكانية إثبات هذه الروابط كفرضيات «لا يوجد إمكانية

للبرهان عليها تجريبياً» تنبع أساساً من تصور الروابط هذه في إطار نظام عام للعلاقات الاجتماعية.

إن منطلقنا الأساس في تسليط الأضواء حول عملية الوعي والتغيير ضمن الانتماء الثوري هو أن الأسرة كمؤسسة اجتماعية هي النقطة الأساسية والركيزة الأولى إن جاز القول التي يجب أن يستهدفها التغيير باعتبارها تمثل حجر الزاوية للمجتمع المستهدف بالتغيير الشامل، وهي بمثابة «الوسيط» الرئيسي بين شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وأن شخصية الفرد تتكون ضمن الأسرة، وأن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل إلى حد كبير من خلال الأسرة وتتقوى بواسطتها.

أما القواعد التي ترتكز عليها في هذا المنطق فيمكن تلخيصها كما يلي:

1 ـ عندما يولد الطفل تكون ذاته غير متكونة وهي تتكون بصورة تدريجية، كنتيجة للتفاعل بينها وبين ذوات أشخاص آخرين.. إنها في الواقع سلوك متعلم يتكون قبل بلوغ الفرد وعيه الذاتي.

2 ـ إن الذات منظمة تنظيماً تصاعدياً وهي مؤلفة من عدة منازل يجري اكتسابها في سياق النمو والتجربة..

المنزلة الأولى هي الأكثر أهمية إذ عليها يرتكز تكوين الشخصية في الإطار الأساسي وتتمثل في الأم التي عليها دور حاسم من حيث أثرها في تكوين شخصية الطفل. . أما الأصعدة الأخرى التي تشمل التعلم في الطفولة والمراهقة. . والإدراك والوعي في سن البلوغ فهي ذات أهمية بنسب مختلفة.

3 ـ إن الإنسان حصيلة عوامل وراثية، وهو بالتالي ـ تعريفاً اجتماعياً ـ مجموعة العلاقات الشخصية المشتركة، والواقع أن الأنماط التي تتخذها هذه العلاقات فيما بعد تتكون إلى حد كبير في السنوات الأولى للطفل.

4 ـ إن طرق تربية الطفل تمثل دوراً حاسماً في تعيين نوعية الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معين، ودلالتها عليه، ولذا فإن فهم طرق تربية الطفل يؤدي إلى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه في المجتمع.

5 ـ إن التصرف والمواقف التي يتخذها الوالدان ضمن الأسرة تؤثر تأثيراً حاسماً في نمو الشخصية، وذلك لأنها تؤثر في حاجات الطفل الأساسية وتأمين استمراره في الوجود وتمتعه بالاطمئنان العاطفي. .

ويستمر الوالدان طوال مرحلة الطفولة في تمثيل دور خطير الأهمية في ما يتعلق بضبط دوافع الطفل واجتماع حاجاته وتحديد مقاييسه والتأثير في مختلف مراحل نمو الأنا كماً في نتائج هذا النمو.. والواقع أن الفرد البشري يعيش في هذه الحقبة من حياته حساسية قصوى بالنسبة إلى شروط البيئة وسائر العوامل المؤثرة.

6 - إن التغييرات التي تطرأ على طرق تربية الطفل وعلى تجارب الطفولة تنبع قبل كل شيء من موضع المظلة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة أي «القبيلة»، في مستواها الاجتماعي والثقافي وربما حتى الاقتصادي والسياسي، كما تنبع من وضعها الأثني والديني والإطار الاجتماعي بشكل عام، ولهذا سوف يتم التركيز على نموذج الأسرة العربية باعتبارها تجسد القيم والمواقف السائدة في الإطار القومي العربي عموماً وفي كل المستويات الاجتماعية المختلفة هذا مع العلم أن بعض هذه التعميمات يمكن أن تنطبق على المجتمع العربي ككل بما فيه من تباين بين البدو والحضر.

الأسرة الكبيرة أو الممتدة

إن الشكل السائد في بنية الأسرة العربية هو الأسرة الكبيرة والممتدة.. وفي ما خلا بعض الاستثناءات فإن الأسرة الممتدة لا تسكن عادة في بيت واحد، ففي المدن الصغيرة والكبيرة نجد أن الأسرة تعيش في حي واحد أو قد تتوزع على عدة أحياء من المدينة.. فمثلاً ـ الفقراء يتكدسون في السكن في حجرة صغيرة أو حجرتين بينما يعيش الميسورون في دارات أنيقة، أو في منازلهم مستقلة مختلفة الحجم والأناقة.

وكما سيبدو لنا بوضوح فإن الصفة المميزة للأسرة هي استمرار الأنماط الأساسية لها والروابط العائلية في تنظيم بعضها مع البعض.. وبالرغم من أن سيطرة الأب على الأسرة قد فقدت بعضاً من شدتها، فإن وضعه فيها يبقى أساسياً، وهناك، في بعض البلدان العربية المتقدمة نسبياً أسر كبيرة من مستوى الوسط والأقرب منه تنعكس فيها بوضوح بنية الأسرة العشائرية.. ويمكننا أن نطلق على الأسر تسمية العشيرة أو العائلة العشائرية لأن العشيرة والعائلة تصبحان في الواقع شيئاً واحداً، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروابط العشائرية هي أقل تماسكاً في الطبقات

الفقيرة خاصة بين فقراء المدن من جهة، وأوساط الطبقة الوسطى ذات الغربة من جهة أخرى.

ومع ذلك فإن الأب يظل يمارس سلطة واسعة في هذه الأوساط بالذات.. والزواج في العائلة أو الأسرة يجري في معظم الأحيان في إطار القربى.. والمرأة يجري تدريبها لتصبح امرأة مكرسة للواجب.. وواجبها الأول في الزوج لكي تخضع وتنصاع إليه في كل أمر، وإذا لم تفعل ذلك أو رفضت الانصياع إلى كل شيء يطلب منها يمارس عليها تعسفاً اجتماعياً يؤدي بطردها من البيت وترك أبنائها، ويصبح الأولاد في هذه الحالة في وضع اجتماعي سيء للغاية ويفقدون أهم وسيلة في تربيتهم، ومن هنا يحدث انحراف الأحداث أو الأطفال عن الطريق السوي في التنشئة والتربية السليمة، وعلاوة على ذلك يكون الطفل الأول البكر هو أثمن ما تملكه الأسرة أو العائلة.. حتى بعد ولادة أطفال آخرين، عالم أمه الأكبر ودليل قيمتها كامرأة وضماناً لحياتها في المستقبل.

والأسرة ميدان تفاعلات اجتماعية مستمرة وشديدة في بعض الأحيان بين مختلف أعضائها.. وهذا في الواقع مصدر كل حياة في العائلة من سعادة وتعاسة.. فعاطفة

الحب لا تشكل لحمة الأسرة ولا توجد في إطارها تعبيرات واضحة عن الحب، ما عدا بعض العواطف الحارة التي تبديها النساء اتجاه الأطفال.

ماذا نريد من التغيير؟

لماذا نتوقع جميعاً أن يكون أبناؤنا أقدر وأشد ذكاء من كل الأبناء؟ . . ولماذا تختلف النتيجة دائماً عن توقعاتنا. . يبلغون سن الرشد فلا يختلف وضعهم عن وضع أقرانهم ذكاء وكفاءات. . ولا يمتازون عنهم إلا في ما يختلف الأفراد بعضهم عن بعض.

في الطبع والميول والعادات؟

يعود ذلك كما سنرى إلى تجربة الفرد طفلاً ضمن الأسرة وإلى خبرته بالغاً في المدرسة، وشاباً في المجتمع. . ولا شك أن ما نعتبره في الطفل ذكاء حاداً ومقدرة متميزة كثيراً ما تكون صفات للفرد في طفولته، لكن يفقدها من جراء التربية التي نفرضها عليه، والمعاملة التي نعرضه إليها والتي بدون أدنى شك تقتل سريعاً شعلة الذكاء الطبيعية في نفسه، وتقضي بالضرورة على القدرات

الفطرية فيه. . وما إن ندخله المدرسة والمجتمع حتى يكون قد استعد نفسياً لأن يتقبل كل الأفكار والأساليب الاجتماعية السائدة، فينسى أحلامه وتتبعثر قدراته، ويرضخ لإرادة الجيل القديم التي تجدد نفسها وتفرض سلطتها من خلال نظام الأسرة الموروث بطبيعة الحال عن الأسرة السابقة لها وكذلك المجتمع.

وما عملية التطبيع الاجتماعي، من المهد إلى اللحد، إلا استمرار لعملية الاستعباد والقهر والسيطرة التي يفرضها الجيل القديم باسم (السلف الصالح) على الجيل الجديد. . وفي تعبير آخر فإننا نحرم أبناءنا من مواهبهم، ونحد من قدرتهم، لأننا نسعى بغية جعلهم على صورتنا وأمثالنا كما فعل أباؤنا فجعلونا على صورتهم ومثالهم. . والتحالف الذي يجابهه كل طفل هو تحالف سلفي رجعي من الأسرة والمجتمع ضده، وهو يكاد أن يكون من الناحية الواقعية تحالفاً لا يقهر أبداً مهما كانت قوة التغيير، فتلك هي الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها على الإطلاق.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف لنا أن نحدث تغييراً جذرياً في المجتمع؟ فالمجتمع لا يمكن تغييره إلا بتغيير الأسرة، والأسرة هي الأخرى لا يمكن تغييرها إلا بتغيير المجتمع

ذاته والاثنان مترابطان بشكل لا يقبل التفرقة.. من هنا كانت أهمية الإدراك الذاتي، والمعرفة النقدية والوعي الاجتماعي، فهماً وإدراكاً وعملاً، في معالجة مثل هذه الأمور.. ومن هنا أيضاً كانت العملية النقدية الأساسية التي تجب علينا ممارستها في هذه المرحلة وعلى ضوء منطلقات الفكر الجماهيري الجديد الذي استوعب كافة التجارب الإنسانية من أجل الوصول إلى انعتاق الحرية التي لا تتجزأ.

وما نقصده بهذه المرحلة! نقد الفكر الغربي السائد في ثقافتنا الحاضرة لاستنباط الطرق السليمة في التربية والتنشئة لأبنائنا من منظور أن الدراسة ليست غاية في حد ذاتها وإنما الغاية هي خلق الإنسان الجديد النموذجي والقدوة في المهارة والمسلك، وعلى هذا الأساس يمكننا التغلب على عوامل التمويه الكامنة في الفكر الغربي، ولهضم القوى الإيجابية التي ينبثق منها.

والخطوة الأولى في هذه العملية هي قبول النموذج الغربي الذي قبلته أجيالنا المثقفة دون تساؤل أو تردد منذ بدء ما يعرف باليقظة في أوائل القرن الماضي، ووضعته مثالاً أعلى لكل علم وفن ومعرفة في العالم، حيث تم

تجاهل الخلفية التي ينطلق منها هذا النموذج الغربي من مجتمع يختلف بالضرورة عن المجتمع الذي تصوره ويتصوره مثقفونا المعاصرين، وهو يعبر عن قيم وأهداف غير تلك التي يعتقدونها، فهذا المجتمع وهو ذو قدرة هائلة على نقل عدواه إلى المجتمعات النامية، وما الفوضى والتضارب والتمويه التي عانيناها ولا نزال نعانيها، إلا إحدى نتائج هذه العدوى الخطيرة.

ما الذي نريد تجنبه في هذا النموذج الغربي؟

يجب قبل كل شيء فضح ظاهرة الخبل الكامنة في صميمه.. وقد عبر نيتشه عن هذه الظاهرة بلغة الفلسفة والشعر، وأشار إليها فرويد بلغة التحليل النفسي، وكشف عنها ماركس بلغة النقد الاجتماعي والجدلية التاريخية، واتفق جميعهم على أن هذا المجتمع الغربي لا يقوم فقط على الاستغلال والقهر والعنف بل أيضاً على مقدرة هائلة للكذب والتمويه على النفس وحجب الحقيقة عن الذات!! أما الكتاب الأخضر الركن الاجتماعي يقول: إن الجهل سينتهي عندما يقدم كل شيء على حقيقته، والمعرفة حق طبيعي لكل إنسان والمجتمعات التي تحتكر المعرفة هي مجتمعات رجعية متعصبة للجهل معادية للحرية ولعل أكبر

تعبير عن هذه القدرة هو النزعة المثالية في أنماط التربية والتعليم السائدة في العالم الآن والتي يكرسها المجتمع الغربي، فالطفل ينشأ على القيم المثالية - في أنماط التربية والتعليم - التي يتعلمها لفظياً في البيت والمدرسة، ولكنه سرعان ما يكتشف تلقائياً من خلال تصرف والديه وأقرانه والأفراد الذين يتعامل معهم في المجتمع، أن هذه القيم مجرد «مثل» لا ارتباط مباشر لها بالحياة الواقعية وبالسلوك العام، فينصرف إلى نمط من السلوك يفرضه عليه المجتمع من حوله، يستند إلى العدوانيه والتنافس والخداع والقهر، دون أن يكون لهذا التناقض «بين الواقع والمثال» أي تأثير في نمط حياته أو معتقده، فهو في سن الرشد يسلك سلوك الذئب نحو أخيه الإنسان، وفي الوقت ذاته لا يتخلى في كلامه وتخيله عن قيم المحبة والأخوة التي يسمعها يوم الأحد في الكنيسة وينساها يوم الإثنين في البيت والشارع.

إلا أن هذا التناقض لا ينحصر في مجرد حالة نفسية عند الأفراد يمكن تغييرها ذاتياً على المستوى الفردي، بل يتجسد موضوعياً في علاقات المجتمع والقوى المسيطرة فيه، إن النظام الاجتماعي والاقتصادي يفرض وضعاً نفسياً ذهنياً معيناً في الأفراد، كشرط أساسي لاستمرار هذا النظام

ونموه. إن التقدم الفائق الذي حققته المجتمعات الغربية الرأسمالية في حقول الثقافة، رافقه كبت فردي وقهر اجتماعي.. غيَّر شخصية الفرد والجماعة على حد سواء في المجتمعات الغربية، فأصبح الإنسان في تركيبه النفسي، وفي علاقاته الاجتماعية، غيره «في طبيعته» لو كانت حياته خالية من الكبت الداخلي والقهر الخارجي اللذين فرضتهما علاقات الإنتاج الرأسمالية وأصبح، كما قال ماركس، مغترباً عن نفسه وعن عمله وعن الآخرين، ومحروماً من إنسانيته، كما قال نيتشه، ومريضاً بإعصاب مزمن يحرمه السعادة الحقيقية في الحياة كما قال فرويد.

في هذا النموذج تقتطع قيمة الحرية في أنواعها مكاناً متميزاً وتظهر كأنها تجسدت في العلاقات والأنظمة والحياة الغربية، فالحرية الفردية كما جسَّدها لنا الغرب الليبرالي تظهر كأنها هدف وقيمة نهائية في كل المجتمع وتبدو الديمقراطية كما حققتها المجتمعات الأوروبية الغربية كأنها نظام لا مثيل له في التاريخ.

وعلى هذا الأساس فقد ترعرع الكثير من المثقفين، على هذا الكلام دون تساؤل أو تمحيص، فتمت عملية تمويه خطيرة لهم وأصبحوا ينظُرون الوقائع من خلال الفكر

المثالي الغربي فتلك هي المصيبة التي راح ضحيتها أولئك المثقفون!

المعرفة النقدية

مثلما ذكرنا سابقاً، لا يستطيع المجتمع، الذي يرمي إلى تغيير ذاته النجاة في هذه العملية دون أن ينفذ أولاً إلى عملية معرفة الذات، فالمعرفة الذاتية هي الشرط الأساسي للتغيير الذاتي، في الفرد كما في المجتمع، ولا تكون هذه المعرفة مجرد معرفة نظرية بل معرفة نقدية قادرة على اختراق الفكر السائد والنفاذ إلى قلب القاعدة الحضرية التي ينطلق منها سلوكنا الاجتماعي، وينبع منها فكرنا وقيمنا وأهدافنا، والوعي الصحيح هو الوعي النقدي القادر على كشف الواقع وتعريته وإظهار قاعدته الحضارية، ولا يمكن تغيير الواقع إلا بكشف النقاب عن حقيقته، وما عملية الكشف هذه إلا عملية المعرفة النقدية الهادفة إلى تغييره.

وقبل ظهور النظرية العالمية الثالثة إلى حيز الوجود لم يكن هناك أي أثر لممارسة مبدأ المعرفة النقدية بل، كان هناك ممارسة متعمدة مع سبق الإصرار والترصد لما يسمى «بالمعرفة الدفاعية والفكر الدفاعي»، وقد بدأت في

مجتمعنا العربي منذ عصر النهضة، حيث تغلبت «المعرفة الدفاعية والفكر الدفاعي» على «المعرفة النقدية والفكر النقدي». . فأخذ مثقفونا يرسمون لنا صور تاريخنا وحضارتنا ومجتمعنا في شكل تبريري، في وجه سيطرة الغرب ونفوذه، وأصبح هدف المعرفة درء الخطر عن الذات، بدلاً من معرفة الذات وتفهمها. . وبذلك تحجر الفكر النقدي منذ البداية، وبدلاً من أن يتخذ خط التفهم والتحليل أخذ خط التفسير والتبرير، ومن هنا تميز الفكر العربي المعاصر بخروجه عن خط المعرفة العلمية «معرفة الذات» والنقد الذاتي واندفاعه في متاهات تجريدية وتهرباً من مجابهة الواقع وكشفه.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الفكر يتخذ الطابع والاتجاه اللذين تقررهما مرحلة تطور المجتمع ووضعه المادي - الحضاري. . في حين يدعم الفكر النظام السائد أو ينتقده «ويتجاوزه»، فإن الظروف التاريخية التي ميزت هذه المرحلة من تطور المجتمع العربي فرضت عليه اتجاهاً دفاعياً أفقده القدرة النقدية، وقوّى فيه نزعة المسايرة والتوجه اللاعلمي. . ونتج عن ذلك أن تصور المجتمع لذاته وتفهمه لتاريخه وحضارته اتخذ شكلاً مبهماً ومغلوطاً

أحياناً اختلطت فيه الحقيقة التاريخية بالمخاوف والتمنيات والأحلام.. ومن هنا كان تفهمنا لواقعنا تفهماً يرتكز على الوهم والعاطفة لا على العقل والحقيقة العلمية، وكانت كل محاولة لإزالة الوهم وإصلاح الخطأ تقاوم بشدة لارتباطها، من جهة بحاجات نفسية متأصلة ومن جهة أخرى بمصالح اجتماعية قائمة.

الإنسان والتحدي الحضاري

ماذا نقصد بالتحدي الحضاري؟

هناك أسلوبان للإجابة عن هذا التساؤل الأسلوب الأول ينطلق من التعميمات الواسعة ويتناول مشكلة التحدي الحضاري من زاوية الفكر الخطابي المجرد لينتهي إلى الوعظ والتبشير وهذا هو الأسلوب الأسهل وربما الأكثر متعة للكاتب والقارىء في آن واحد.

أما الأسلوب الآخر فينطلق من قاعدة الواقع الاجتماعي ويتناول القضايا والموضوعات الهامة في الأمور الحياتية والمطروحة من زاوية التحليل العلمي في التوصل إلى فهم عميق يشكل بداية العمل المبدع والخلاق في صلب الواقع من أجل تغييره وتجاوزه، في هذه العجالة وضمن الانتماء الثوري سنتبع الأسلوب الثاني في شرح وتحليل ما نقصده هنا بالتحدي الحضاري، وهو الأسلوب الأصعب لا لأنه

الأكثر تعقيداً بل لأنه يثير قضايا وموضوعات حساسة ويتطلب التسليم بالحقيقة الجارحة والمرة في نفس الوقت.

والإطار الذي سأعتمده في التحليل يتكون من ثلاث عناصر مهمة وغاية في الأهمية بالنسبة لموضوع التحدي الحضاري في سياق الانتماء الثوري، وتشكل في نظري القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع العربي ككل وعلى تغييرها يتوقف كل تغيير حقيقي فيه وهذه العناصر هي علاقتنا وفق الآتي.

1 ـ علاقاتنا بأبنائنا.

2 ـ علاقاتنا بالمرأة.

3 ـ علاقاتنا بعضنا ببعض.

سوف نحاول تناول كلاً من هذه العلاقات على حدة بالإضافة لما تمت الإشارة إليه في السابق، وسنشرح المفاهيم المرتبطة بكل منها ونعود بقدر الإمكان إلى دورها في التركيب الاجتماعي العام وارتباطها بالعلاقات الاجتماعية الأخرى، ثم إلى تحديد معنى التحدي الحضاري ومتطلبات مجابهته والتغلب عليه.

أولاً: علاقاتنا بأبنائنا

إن أول ما يجب الإشارة إليه في شرح هذه العلاقة هو

ما قلناه في الموضوعات السابقة التي تناولناها من خلال الانتماء الثوري، وهو أن التجارب التي يحياها الطفل خلال السنوات الخمس أو الست الأولى من حياته تقرر بالضرورة تركيبة شخصيته مدى الحياة ولهذا فإن عملية تربية الطفل وتثقيفه في إطار الأسرة وخلال هذه السنوات أمر حاسم بالنسبة إلى الفرد وبالتالي إلى المجتمع.

وهناك حقيقة جوهرية أخرى لا يمكن تجاهلها بل يجب الانتباه إليها وهي أن عملية تربية الطفل وتثقيفه في إطار الأسرة ليست فقط عملية إرادية مخططة بل هي أيضاً انعكاس قيم ومعتقدات وأهداف تعبر عن تركيب اجتماعي محدد وتنبثق منه، وبكلمة أخرى، إن الفرد، عندما يولد يدخل في نظام عائلي معين.. والعلاقة بين النظامين نظام الأسرة ونظام المجتمع علاقة عميقة تمثل فيها عملية التربية والتثقيف دوراً أساسياً.. ويتلخص دور هذه العملية كما أسلفنا سابقاً في أنها تنقل قيم المجتمع وأهدافه إلى الفرد وتغرسها في شخصيته أثناء تكونه النفسي في السنوات الأولى من حياته.

والتساؤل المطروح هنا هو التالي:

ما هي السمات الرئيسية للشخصية الاجتماعية التي يتم

غرسها في الفرد وهو طفل في مجتمعنا العربي هذا، أو بمعنى آخر ما هي القيم والأهداف التي ينقلها المجتمع إلى الفرد بواسطة التربية والتنشئة الأسرية.

وفي هذا المجال يمكن القول أن علاقة التربية الأسرية وسلوك الفرد الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر توصلنا إلى النتيجة التي تشكلت منها عناصر الموضوع، وهي أن الصفات المميزة لسلوك الفرد في مجتمعنا يمكن حصرها بثلاث صفات، الاتكالية والعجز والتهرب، أو بتعبير آخر أن الشخصية تتميز برضوخها للسيطرة وبتهربها من المسؤولية وباتكاليتها.. إن هذه الشخصية ترتبط في ولائها بالأسرة والعائلة، أو بالعشيرة والطائفة وهي في سلوكها العام تسليم للقوى الفاعلة في المجتمع وتثبيت للعلاقات القائمة فيه.

إخضاع الفرد وكسر شوكته

إن تصرف الأم العربية في إطار التربية والتنشئة نحو ابنها هو كما تقول له: إنني أريدك عاجزاً عن مجابهة مشكلاتك وحدك، إنني أريدك أن تعتمد علي وعلى والدك وعلى عمك وعلى أهلك «على غيرك» وأريدك أن تبقى ابني

الصغير وأن تشعر أن البيت ملجؤك الأول والأخير وأن والدك سندك وحاميك مدى الحياة.

بينما المرأة الأوروبية تتصرف بوضوح نحو ابنها من البداية فهي، تقول لابنها عليك يا بني بالاعتماد على نفسك لا أستطيع أنا ولا يستطيع والدك أن نحل لك مشكلاتك، إذا أردت أن تنجح في هذه الحياة عليك أن تكون قوياً وأن تقاتل من يقف في طريقك وإلا داسك الناس بأرجلهم.

ولا تعني هذه المقارنة البسيطة بين دور الأم في المجتمعين العربي، والأوروبي تفضيل تربية الأم الأوروبية، على تربية الأم العربية، كما يتصوره البعض من الوهلة الأولى لأن ما نهدف إليه هنا في كلتا الحالتين تعبير عن القيم والأهداف التي تتحكم بالمجتمع الذي تعيش فيه، فالأم الأوروبية بتصرفها وتربيتها تعد طفلها لمجابهة التحديات التي يفرضها مجتمع صناعي يقوم على المنافسة والتناحر وتأكيد الذات.

إن الشخص الذي يعتمد على الآخرين والذي يهاب الأب ويحتمي بالأم، ويحافظ على الولاء الأسري قد يكون في سلوكه ومعشره أقرب إلى النفس وادعى للثقة

والمحبة من الشخص الذي نشأ على الاعتماد الذاتي والتشكيك بالآخرين والمنافسة والعنف. . لذلك إذا أردنا أن نميز بين تربية الأم العربية، وتربية الأم الأوروبية وجب علينا أن نميز بالأحرى بين مجتمعين مختلفين في تركيبهما وفي نظامهما وفي الأهداف التي يرميان إلى تحقيقها، أكرر المجتمع هو الذي يكون الفرد ويجعله على صورته وليس الفرد هو الذي يكون المجتمع ويصنعه حسب رغباته وأهوائه.

فالمجتمع العربي السائد يرمي - بطبيعة الحال - من خلال عملية التربية والتثقيف إلى هدفٍ سامٍ هو إخضاع الفرد وكسر شوكته من البداية، والتعبير الأقوى والأكثر وضوحاً لهذا يكمن في معاملتنا لأبنائنا وفي أسلوب تربيتهم وتثقيفهم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عملية التربية والتثقيف لا تتكون فقط من التعليم المباشر بل أيضاً من الأشكال التي يتخذها سلوك الوالدين وأعضاء الأسرة الآخرين نحو أبنائهم وتفاعلهم معهم.

ومما لا شك فيه أن شخصية الطفل تنمو وتتكون بفعل ما يلاحظه ويسمعه ويراه من جانب والديه أكثر بكثير مما يتعلمه منهما مباشرة. . وتتخذ عملية إخضاع الفرد أشكالاً

عدة منها ما هو نفسي «سيكلوجي» ومنها ما هو فكري أي تعليمي على المستوى النفسي. إن الوسائل الرئيسية للإخضاع تتكون من ثلاث.. العقاب الجسدي، والتخجيل والاستهزاء.. إن صفع الطفل إذا أخطأ قد يرغمه على تصحيح الخطأ لكنه في الوقت ذاته يسبب له شعوراً بالمذلة واحتقار الذات.. وهو إذ لا يجد لهذا الشعور منفذاً يحوله إلى داخله أو يوجهه نحو من هم أصغر أو أضعف منه.. فالعقاب الجسدي لا يعلم الطفل شيئاً إلا الرضوخ الآني لمن هو أكبر أو أقوى منه أو لمن هو أعلى منزلة، من هنا يتعلم الفرد أن يسكت على القهر وأن يكبت الضغينة.. وهكذا تتكون في الفرد صفات لها أبعد الأثر في تكوين شخصيته وفي تطوير أنماط سلوكه، لذلك نرى الفرد، في سلوكه الاجتماعي، قد يختلف عن غيره في بعض الصفات لهذا نجد أن الاغتياب أي ذم الغائب وتعريته من كل المحاسن هو من عاداتنا الاجتماعية العميقة الجذور، وإذا كان العقاب الجسدي يشكل أداة مباشرة لإخضاع الفرد فإن التخجيل يشكل أيضاً أسلوباً غير مباشر وربما أكثر فعالية في ترويض الفرد وجعله أكثر امتثالاً شعوراً بالذنب وفي النفس، فيشعر الفرد أنه مذنب ليس فقط على مستوى

السلوك الفعلي بل أيضاً على صعيد النية والواقع، إن التربية النفسية هي أهم أسباب هذا الشعور.

التربية النفسية

تحاط الأمور النفسية في مجال حياتنا اليومية وعلى كل المستويات المختلفة وخاصة في محيط الأسرة أو العائلة بنوع من السرية والخوف والتكتم الشديد، فينمو الطفل ويبلغ سن المراهقة وهو معزول كلياً عن حقيقة ما يجري حوله وما يدور في نفسه، فتنشأ عنده عقدة نفسية ويصبح محاطاً بالخجل، وفي الوقت ذاته يفقد شأناً من أهم شؤون حياته. لهذا نرى أن الشاب العربي في بعض الأحيان يتوجه إلى أوروبا لا طلباً للعلم فقط بل هروباً من مواجهة المشكلات التي تعتري طريقه ابتداءً من العائلة وانتهاءً بالمجتمع هذا من جانب، ومن جانب آخر، بحثاً عن إشباع بعض الغرائز الجنسية التي لم يتمكن من إشباعها أثناء مواجهته وحده لفترة المراهقة العصيبة.

لقد أثبت علم النفس بدون أدنى شك أن الكبت النفسي

والجنسي يقتل روح التمرد في الفرد ويخضعه لإرادة الأب وللسلطة الاجتماعية التي يمثلها هذا الأخير.

وهذا الإخضاع يؤدي بدوره إلى عوارض نفسية مختلفة منها ضعف القدرة على التساؤل الحر في التفكير المستقل، أي إلى التشتت العقلي بشكل عام.

أما الاستهزاء فيجمع بين العقاب والتخجيل، وهدفه المباشر التقليل من قيمة الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وإذا تذكرنا طفولتنا ظهر لنا ذلك بوضوح أن الأب ليس وحده مصدر الألم والقهر والشعور بالعجز الذي عانيناه جميعاً في طفولتنا والتي لا يزال يعاني منه أبناؤنا في الحاضر، بل هناك أشخاص أو أفراد آخرون عديدون كانوا ولا يزالون أيضاً أداة للمجتمع ولعاداته في قهر نزعة الاستقلال والحرية فينا.

من هنا كان القضاء على دنيا الطفولة وأحلامها هو الثمن الذي يدفعه كل جيل في كل مجتمع من أجل أن تستمر فيه قيم الجيل السابق وعاداته. . إلا أن مجتمعنا يبدو من أكثر المجتمعات قسوة على الأطفال، ولعل ذلك يعود إلى أننا نفصل فصلاً تاماً بين عالم الصغار وعالم الكبار، فننظر إلى الطفل على أنه رجل لم يكتمل بعد، وبالتالي لا نقر له

شخصية خاصة وعقلية خاصة بمعنى أن الطفل ـ عالماً نفسياً ـ له نوعيته وخصائصه الفريدة.

ولهذا السبب فإن علاقتنا بهم تستند إلى التعالي عليهم والابتعاد عنهم، وهذا يرجع إلى أن علاقة أبنائنا بنا كانت على هذا المنوال، لذلك لا يمكن لنا أن نغير علاقتنا بأبنائنا إن لم نسترجع عالم طفولتنا.. عالم الفرح والحرية والأمل، فنعيد الصلة بأصول حياتنا ونصبح قادرين على تضميد الجروح التي سببها لنا أباؤنا ونحن أطفال، إن عجزنا عن ذلك فإننا سنستمر في علاقتنا القاسية بأولادنا فنعاملهم بالقسوة نفسها التي عاملنا بها أباؤنا لنجعلهم على صورتنا كما جعلنا أباؤنا على صورتهم، وذلك لنضمن خضوع أبنائنا لإرادتنا، كما ضمن أباؤنا خضوعنا لإرادتهم ولإرادة الجيل السابق.

الإرهاب المباشر في التعليم

هذا على الصعيد النفسي، أما على الصعيد الفكري فعملية الإخضاع تأخذ شكلاً خاصاً هو «الإرهاب االمباشر في التعليم» عن طريق التلقين، ويهدف التلقين كطريقة للتعليم المباشر إلى التسليم بما يتعلمه الفرد ويحفظه دون

تساؤول أو تفهم، فيصبح العقل أداة ترديد وحفظ بدلاً من أن يكون وسيلة تحليل ومعرفة ونقد.

ونحن إذ نعلم أبناءنا الطاعة وتنفيذ الأوامر وحسن التصرف نكبل عقولهم ونحد من نموهم الذهني الطبيعي، والواقع أن الكبت النفسي الذي يتعرض له الفرد يقابله الكبت الذهني، والاثنان ينميان فيه نزعة الامتثال والتسليم والاتكالية.

1 ـ مفتاح التغيير الاجتماعي:

إن مفتاح التغيير الاجتماعي في مثل هذه الأمور يكمن في وضع حد نهائي لهذا الإرهاب الذي يمارسه المجتمع على أطفاله بواسطة الآباء والأمهات.

بمعنى آخر إن لم يتمكن جيلنا الحاضر من أن يضمن لأبناء الجيل الصاعد قدراً كافياً من الحرية والاستقلال ليتعلموا كيف يتدبرون أمورهم بأنفسهم دون ضغط أو تهرب، فإننا لن نستطيع أن نغير في المجتمع سوى مظاهره الخارجية.. عندئذ نبقى كما نحن، أسراً وعائلات وعشائر وطوائف متنافرة في مجتمع متفسخ، عاجزين عن مجابهة التحدي الحضاري وعن القيام بمهماته الأساسية تجاه نفسه وتجاه العالم بأسره.

2ـ علاقتنا بالمرأة

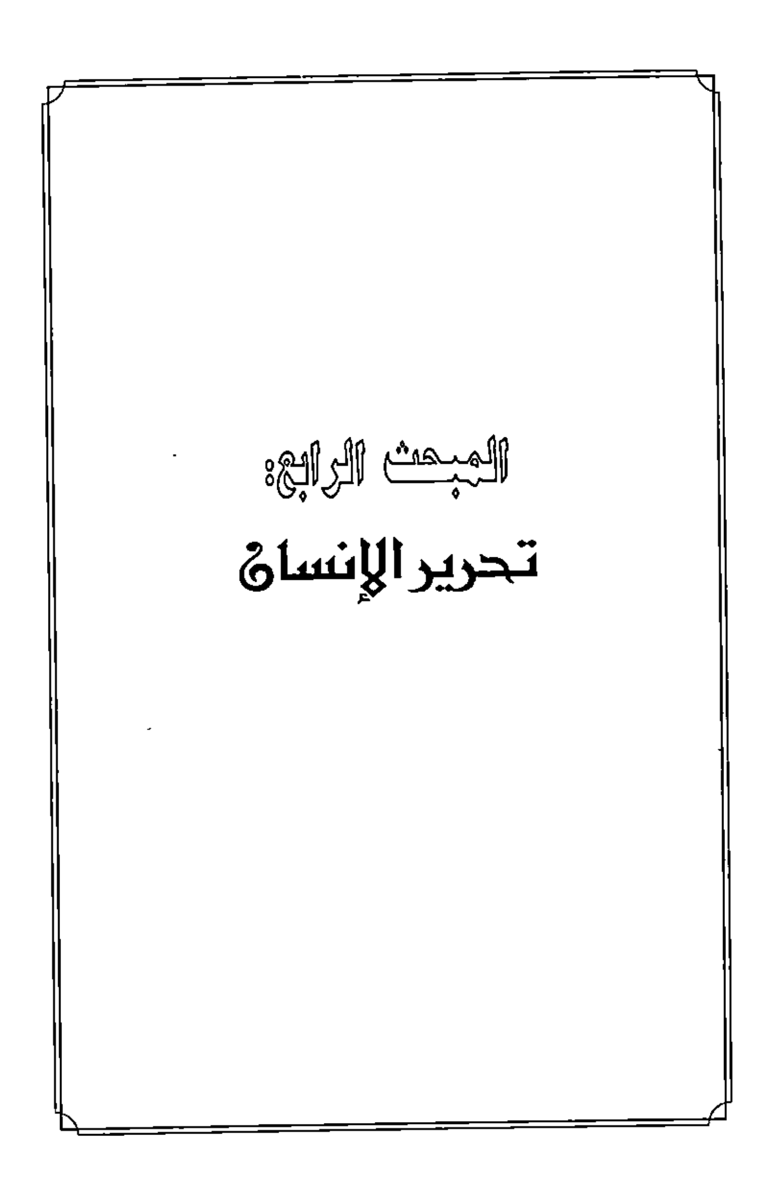
إن الاضطهاد في مجتمعنا هو على ثلاثة أنواع: اضطهاد الفقير واضطهاد الطفل واضطهاد المرأة، ولا أبالغ في قولي أنه من المفجع أن يولد للإنسان أنثى في مجتمعنا.. إنني لا أعرف مجتمعاً في العالم حتى المجتمعات البدائية، وضع الأنثى فيه مثل وضعها في المجتمع العربي، ومهما حاولنا إخفاء هذا الواقع أو تبريره فالحقيقة بارزة أمامنا وهي تصفعنا كل يوم، مستحيل أن يتغير المجتمع العربي ما دامت المرأة العربية في وضعها الراهن، وذلك لأنها هي التي تصنع الإنسان العربي.. وطالما أن المرأة العربية لم تتغير بعد فالإنسان العربي غير قابل للتغيير، وعندما قال نابليون بونابرت: إن اليد التي تهز السرير هي اليد التي تهز العالم، قصد بذلك أن المرأة لا الرجل هي قاعدة المجتمع وركيزته.

إننا لا نعرف حقيقة وضع المرأة في مجتمعنا، ونحن بشكل لاشعوري، نرفض مجابهة هذه الحقيقة ونتناساها، وبالتالي نسدل الستار على أهم مشكلاتنا الاجتماعية وأكثرها تعقيداً.. لكننا إذا كنا جادين في مجابهة التحدي الحضاري في إطار الانتماء الثوري الأصيل، وفي بناء

مجتمع جديد خالٍ من القهر والعسف والاستغلال مجتمع عصر الجماهير في هذا الوطن، علينا قبل كل شيء أن نعيد إلى نصف هذا المجتمع إنسانيته الكاملة. . فنحن عندما نقول «الإنسان العربي» لا نعني الرجل فقط؟ كيف لنا أن نجابه التحديات التي تهددنا وأن نبني مجتمعاً جديداً في حين أن نصفنا مشلول؟ وعندما يكون النصف مشلولاً يصبح الكل مشلولاً أيضاً، مهما كانت الظواهر فنقطة انطلاقنا هي الإنسان العربي أي الرجل والمرأة على حد سواء.

وإذا ما قمنا بدراسة التركيبة الاجتماعية في مجتمعنا العربي لما وجدنا بالتأكيد شخصية الفتاة العربية بارزة ضمن تركيب العائلة أو الأسرة، ودور الأم في تكوين شخصية الطفل توصلنا إلى نتائج أولية حول الفوارق في التربية بين الأطفال والبنات، ووجدنا أن الفارق الأساسي في أن الأولوية والاهتمام الزائد الذي يعطى للطفل على حساب البنت يتيح للبنت شيئاً من الحرية يجعلها قادرة على تطوير قواها الذاتية في استقلال وفي سرعة لا نجدهما عند الصبي. . لهذا تتكون شخصية الأنثى باكراً ويصبح في إمكانها القيام بواجبات وأعباء لا يستطيع الذكر القيام بها

في مثل عمرها. من هنا نجد أن قدرات كثيرة لا نعرف ماهيتها بعد تنشأ عند الفتاة فتؤهلها للقيام بأدوار هامة في حياتها والتأثير بصورة مباشرة في حياة المجتمع.



المبحث الرابع:

تحرير الإنسان

إذا كانت الثورة وفقاً لمفهومها الجماهيري الجديد تعني الحل الحاسم لقضية **الحرية التي لا تتجزأ** لأي سبب كان، فإن مسألة تحرير الإنسان الكل والسوي تظل بالضرورة هي القضية الأساسية والجوهرية الأولى التي تأتي في مقدمة كافة القضايا التي تنطلق منها الثورة وتناضل من أجلها هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن التغيير الجذري السليم الذي يستهدف بالتأكيد خلق الإنسان الجديد النموذج في كل شيء والتحرر من جميع العقد النفسية البالية الموروثة من مجتمع مضاد سلفاً لحرية الإنسان.

وعلى هذا الأساس فمسألة تحرير الإنسان في إطار الانتماء الثوري مسألة أساسية وضرورية ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها وخاصة في طور القاعدة الطبيعية والأساسية التي يعتمد عليها المجتمع في مجال التنشئة والتربية والتكوين، وذلك من خلال تحرير «المرأة»

نظراً لما لها من دور بارز وهام في الأمور النفسية المتعلقة ببناء الإنسان منذ اللحظات الأولى من ولادته.

إن عملية **تحرير المرأة** هي إذاً عملية انعتاق شاملة تبذ كافة العلاقات الاجتماعية البالية والسائدة في الواقع من جذورها، وإنها لا تحدث بمجرد قبول لفظي لحقوق المرأة بل هي حصيلة صراع طويل ومعاناة قاسية في مسيرة نضال الإنسانية، وبالتالي فإن تحرير المرأة في المجتمع جزء لا يتجزأ من عملية تحرير الرجل وتحرير المجتمع بكامله.

علاقتنا بعضنا ببعض

نأتي إلى العلاقة الثالثة والأخيرة، وهي تنطلق من حقيقة جوهرية هي أن الفرد والعلاقات التي ينشئها هي حصيلة ظروف موضوعية لا حصيلة أفكار أو رغبات أو مثل عليا، أي أن الواقع الاجتماعي لا الفكر المجرد هو الذي يقّدر في النهاية تركيب المجتمع وطبائع أفراده.

والآن ماذا نقصد بالظروف الموضوعية؟

هناك عاملان أساسيان: العامل الاجتماعي والعامل التاريخي، على مستوى الصعيد الاجتماعي تكتسب

شخصية الفرد طابعها المميز ضمن العائلة أو الأسرة كما تتكون علاقته بنفسه وبالآخرين بفعل نظام تربوي تثقيفي يفرضه نظام القيم السائدة في المجتمع، وذلك بواسطة المدرسة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

- إن الفرد، في تركيبه النفسي وفي سلوكه الاجتماعي الذي يصدر عن هذا التركيب، يبدو فريسة اتجاهين متناقضين، فهو من جهة مدفوع بـ **نزعة فردية** عمياء تجعله يخرج عن المجتمع ويناقضه وهو من جهة أخرى، مدفوع بـ **نزعة جماعية** تجعله عاجزاً عن العيش دون الالتصاق بالجماعة والاعتماد الكلي عليها. . والواقع أن كلاً من هاتين النزعتين المتناقضتين تعبر عن بنيان واحد متماسك من العادات والتقاليد.

إن النزعة الفردية في المجتمع تتميز بطابع سلبي محض بحيث إنها تهدف إلى خير الفرد وحده ولا تقيم للكيان الاجتماعي أي اعتبار. . . فالفرد لا يكاد يخرج من إطار العائلة ويحوز على شيء من الاستقلال حتى ينصرف بكل قواه إلى رفع شأن ذاته والتعويض عن الكبت والاضطهاد واللذين عاناهما ضمن العائلة، فهو يتحرق لإبراز ذاته على حساب الآخرين ولتحقيق أهدافه حتى على حساب مصلحة

المجتمع، وبالنسبة إليه فإن مصالح الآخرين ومشاعرهم أمر ثانوي لا يعيره اهتماماً إلا إذا ارتبط بمصالحه وبمشاعره، إن لسان حاله هو «أنا فوق الجميع»..

وإذا صح قول علماء الاجتماع في أن سلوك الأفراد في مجتمع ما يظهر على حقيقته في «آداب قيادة السيارات مثلاً» فإن أدب السير عندنا يؤكد تحديد النزعة الإنسانية في سلوكنا الاجتماعي والجدير بالذكر أن اللطف والمسايرة اللذين يميزان سلوكنا الاجتماعي عندنا في الواقع عندما نلتقي وجهاً لوجه هما وسيلة لإخفاء النزعة العدوانية اللاشعورية التي تكمن في كل منا اتجاه الآخرين.

وهناك صفات أخرى ترتبط بالنزعة الفردية لا مجال لذكرها الآن، غير أني أود أن أسجل واحدة منها، وهي أنه إذا كان لمجتمعنا الجماهيري الجديد الذي نعمل بكل قوانا المادية والمعنوية من أجل تأكيده وترسيخه في الواقع يتجاوز السلبية المميتة والتطور نحو حياة إنسانية أفضل، فلا بد من التخلي عن الفردية المسيطرة عليه الآن في التعامل اليومي على كافة المستويات وتحويلها إلى نزعة إيجابية إن جاز التعبير في ذلك، إذ نحافظ على الفرد ومصلحته سوياً وننقذه من التنازع الميت، وبذلك يتمهد

الطريق لبناء علاقات اجتماعية جديدة تقوم على أساس الأخوة والألفة والمحبة والتعاون في مجتمع ترتبط فيه مصالح الأفراد وأهدافهم بمصالح المجتمع وأهدافه بكل ما في ذلك من شمول. هذا التغيير لا يمكنه أن يتم بمجرد رغبتنا أو نيتنا الحسنة بل إنه يفترض تحولاً جذرياً في الوعي الاجتماعي وفي علاقات أعضاء المجتمع الموضوعية. أما نزعة الانتماء إلى الجماعة فلا تأخذ شكلاً اجتماعياً بالمعنى الواسع بل شكلاً عائلياً وعشائرياً وطائفياً في بعض الأحيان، ونقصد الممارسة بالواقع، وهذا ما يضفي عليها تجاه المجتمع طابعاً سلبياً كالذي نجده في نزعة الفرد، فالعائلية والعشائرية والطائفية تنمي في الفرد الولاء العائلي والطائفي والعشائري وكل منها لا يتوافق مع الولاء الاجتماعي بل يناقضه. إن ولاء الفرد نحو العائلة أو العشيرة أو الطائفة يحد بالضرورة من وعيه الاجتماعي ويقف في طريق الممارسة الاجتماعية السليمة، إنه يستمد قوته من قوة الجذب القائمة في صلب النظام العائلي العشائري والطائفي المسيطر على علاقتنا الاجتماعية مهما كانت، وهو يمنع الفرد من تجاوز هذا النظام ويبقيه في شعوره وسلوكه أسيراً للفردية العشائرية

والطائفية والعائلية وهذا التحليل ينطبق دون أدنى شك على واقعنا العربي الراهن الآن...

ولذلك لا بد من إيضاح هذه الظاهرة الخطرة ولو باختصار شديد.

نجاح أخي يعني فشلي

يجب قبل كل شيء ألا تغيب عن أذهاننا قاعدة أساسية رددناها حتى الآن بصيغ مختلفة وهي تبرز على الشكل التالي.

إن العلاقات الاجتماعية ما هي في النهاية إلا انعكاس للعلاقات العائلية والعكس بالعكس، وما السلوك الاجتماعي إلا تعبير عن الشخصية الاجتماعية المنبثقة من الارتباط الوثيق بين العائلة والمجتمع.

وخلافاً لما يعتقده الكثيرون فإن نظام العائلة عندنا على ما فيه من حسنات كاحترام الكبار وحماية أفراد العائلة بعضهم بعضاً في الملمات، يقوم على التنابذ والخلاف أكثر مما يقوم على التعاون والوئام. إن الغيرة والحسد يسودان علاقات أفراد العائلة أكثر مما تسودها المحبة والتسامح وهكذا الحال تماماً في علاقات أعضاء المجتمع

بعضهم ببعض. إن أولادنا يتعلمون منذ الصغر كيف يجري اغتياب الأصدقاء والأقرباء وكيف يجهر الإنسان بما لا يضمره ومن أين تؤكل الكتف، وفي تنافسهم على محبة الأم وعطفها يتعلمون بشكل تلقائي كراهية الأشقاء واعتبارهم منافسين ومنافسات يجب التحسب لهم، كذلك فإن الوالدين ينميان روح الغيرة في نفوس أطفالهما وذلك بتصرفاتهم اللاواعية نحوهم، فإذا ميزت الأم ولو بكلمة واحدة بين ولد وآخر فإنها قد تسبب عند الواحد أو الآخر نقمة أو شعوراً بالنقص يصبح جزءاً من تركيبة شخصيته فيؤثر في سلوكه تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

إن نجاح القريب أو الصديق مدعاة للفرح والاعتزاز لكنه كثيراً ما يخلق في نفس الفرد شعوراً غامضاً بالقلق والغيرة، فيحاول الفرد رفض هذا الشعور وإزالته من وعيه إلا أنه يبقى ولو مطموراً في اللاوعي فيظهر في سلوك الفرد تجاه من يتفوق عليه، إن هذا الشعور له منطقه الخاص ومصدره الأكيد هو التفاعل العائلي في سنوات الطفولة الأولى حيث تتكون الذات وتنمو من جراء تفاعلها مع الذوات الأخرى المحيطة بها، والواقع أن من أوائل الأشياء التي يتعلمها الطفل في عائلته هو نجاح أخي يعني فشلي.

وهنا أود أن أنبه أنني لا أريد القول أن هذه الصَفات هي ظاهرة يتميز بها مجتمعنا دون المجتمعات البشرية الأخرى، وإنما العكس هو الصحيح فهذه الصفات عامة نجدها في كل عائلة وفي كل مجتمع وما أريد التشديد عليه وتوضيحه هو أن هذه الظاهرة تبدو في مجتمعنا العربي أكثر قوة وفاعلية في تكوين نفسية الفرد وسلوكه منها في المجتمعات الأخرى وذلك بسبب نظامنا العائلي الذي يختلف عن غيره.

التمويه وخطورته

إن مفهوم التمويه.. مفهوم في غاية الأهمية لا بد من استيعابه إذا أردنا التوصل إلى المعرفة النقدية الصحيحة.. وهو مفهوم مستمد من علم النفس، ويعني حجب حقيقة شيء ما، أو واقع ما، بمختلف الطرق والسبل والوسائل.. وتبدأ عملية التمويه في البيت حيث تغرس وتستمر في المدرسة، ثم يمارسها المجتمع في مؤسساته وعلاقاته كافة.. وبواسطة التمويه تتمكن الثقافة الاجتماعية البالية والمهيمنة من أن تفرض نظرتها وقيمها وأهدافها.. ولا يقتصر التمويه على المفاهيم «الإيديولوجية» السياسية والدينية والأخلاقية وحسب، بل يتعداها إلى حقول المعرفة العلمية، فيثبت أسلوب البحث العلمي والتعليم والتجريدات الفكرية بتقسيم حقول البحث أجزاءً واختصاصات لا علاقة بينها، ويصبح العالم والمتعلم صاحبي مهنة وتخصص بعيدين عن واقعهما اليومي، وفي

الوقت ذاته راضخين للقوى المسيطرة فيه.

إن الفرد، والحال هذه، لا يستطيع الاعتماد على رأيه، أو النظر إلى الأمور باستقلال فكري بعيداً عن آراء الآخرين.. إنه سجين الأفكار والآراء التي تأتيه من الخارج وهو لا يثق برأيه أو بنظره بل يتقبل رأي غيره، خصوصاً رأي من يعتبرهم أعلى منه منزل أو معرفة أو نفوذاً.. وبذلك يبتعد الفرد عن حقيقته، ويصبح مسيراً من القوى والمصالح المهنية في المجتمع حوله.

إن الطفل فقط، يرى في سنواته الأولى، الناس والعالم على حقيقتهم دون تمويه لكنه سرعان ما يخضع لعملية التثقيف الاجتماعي بواسطة أبويه ومعلميه وأقرانه، فيرى الناس والعالم من خلال أفكارهم ومفاهيمهم وفي إطار قيم وعلاقات تحدد له هويته وهوية الناس، وتفسر طبيعة العالم، وتركز مكانته بين الناس، وتفرض عليه دوراً تجاه نفسه وتجاه المجتمع لا يستطيع تغييره. إن عملية التمويه تعبر عن نفسها سلوكياً في تجسيد العلاقات الفكرية في سلوك يقبل الأمر الواقع كما هو دون تساؤل.

والتمويه هو الذي يصنع الفهم الخاطىء الذي يجعلنا نرى العالم من خلال نظارات تصنعها ثقافتنا الاجتماعية

السائدة في الواقع المعاش المسيطر فيها، فندعم القوى التي تسيطر علينا وتستغلنا، ونرفض بملء إرادتنا سبيل التحرير والانعتاق النهائي الذي نطمح في الوصول إليه.

من هنا كانت نظرتنا إلى نفسنا وإلى تاريخنا وإلى العالم خاطئة تقوم على ما تدفعنا إلى رؤيته المصلحة المسيطرة من سياسية واقتصادية واجتماعية، وعلى الحاجة النفسية إلى تعويض الشعور بالنقص.. إن التوصل إلى نظرة عملية تستطيع أن تتجاوز المصالح الجزئية التي يقوم عليها الواقع الاجتماعي والسياسي، وأن تتغلب على الشعور بالنقص والخيبة، يحتاج كخطوة أولى، إلى رفض التمويه السائد واستعادة الثقة بالذات وذلك بامتلاك الإدراك النقدي والمعرفة الذاتية.. فالقول أن الناس درجات في الفهم، وفي مقدرتهم على المعرفة والعلم كما في المناصب والمراكز، وأن العلم ملك عند البعض، والجهل حالة طبيعية عند الكثيرين، وأن المعرفة عملية تتطلب الوقت الكثير، والجهد الكثير، ولا يقدر عليها إلا القليلون.. هذا القول هو جزء لا يتجزأ من عملية التمويه التي يراد عن طريقها استغفال وتجهيل الناس عامة لكي تصبح باستمرار في موضع لا يؤهلها من الاعتماد على نفسها وقطع خط

الرجعة نهائياً في التعويل على الآخرين.

فأكثر الناس قادرون على تجاوز الفهم الخاطىء والعودة إلى علاقات اجتماعية تقوم أساساً على وضوح الرؤية للأشياء والتوصل إلى المعرفة والوعي الصحيح. ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان ثمة أمل في التغيير والتحرر الاجتماعي، ولبقي التاريخ كابوساً مظلماً لا حلم فيه ولا يقظة منه، فتلك هي طبيعة الأشياء وسنتها في الحياة.

وعلى هذا الأساس يبدأ جدار التمويه بالانهيار عندما يحدث تحرك في المجتمع يؤدي ببعض أفراده إلى التساؤل حول المعطيات الأساسية المسلم بها في المجتمع، إن رد الفعل نحو هذا التساؤل يتخذ أشكالاً مختلفة، ففي القرون الوسطى مثلاً - اعتبر هذا التساؤل كفراً وألقي بمن تفوه به إلى النار، أما في الأزمنة الحديثة فقد اعتبر هذا التساؤل تحدياً للدولة وألقي بمن قال به في السجون وأحياناً الإعدام شنقاً حتى الموت.

إن انهيار جدار التمويه لا يؤدي مباشرة إلى انبثاق الوعي وانتشار المعرفة النقدية.. فالفترة الانتقالية التي تمر فيها كل المجتمعات في سيرها من مراحل السبات التاريخي المحافظ إلى مراحل التجديد والتغيير والتحديث، تتميز

بظاهرة الفوضى، ففي هذه الفترة تطغى الفوضى على كل مظاهر الحياة في المجتمع، في أخلاقه وقيمه وسلوكه في مدنه ومدارسه ومؤسساته.. ورغم أن القيم والعادات والأنظمة المتوارثة قد تتعرض في هذه الفترة للهجوم المباشرة أو غير المباشر، فإن هذا الهجوم لا يرمي إلى التحطيم أو الهدم، إذ تقدم هذه الفترة ستاراً تحتمي وراءه قوى التغيير والانتقال، فتسير عملية التغيير والتجديد بمهمتها دون مجابهة القوى المحافظة مجابهة صدامية.. وما الفوضى التي نرى ملامحها الفكرية في التعبيرات المختلفة للوعي إلا انعكاس للفوضى التي نرى تجسيدها في الأسس والسلوك والعلاقات الاجتماعية حولنا.

استعمال كلمة الفوضى هنا جاءت بقصد التدليل على الصفتين الأساسيتين اللتين تميزت بهما عملية التغيير الاجتماعي التي يختبرها مجتمعنا العربي مثلاً، وهما ضخامة القوة الموضوعة المتوافرة لعملية التغيير، واستقلالها عن أية إرادة ذاتية موجهة في هذه الفترة.

إن عملية السيطرة على القوة الاجتماعية الفاعلة في المجتمع، وتسييرها في اتجاه صحيح مرتبط بإرادة ذاتية موجهة يؤدي إلى أن تصبح الفوضى التي نختبرها يومياً في

حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حركة خلاقة وبناءة قادرة على تطوير المجتمع ونقله إلى صعيد إنساني أعلى، لكن عملية السيطرة هذه تحتاج إلى الوعي المتغلب على التمويه والقادر على المعرفة النقدية، أي أن تصبح الفوضى قوة اجتماعية تنبثق من صميم المجتمع لتعبر عن نفسها في نظرية شاملة مرتبطة بإرادة واعية وقادرة.

المعرفة الذاتية:

لا يمكن للإرادة أن تكون قادرة في المجتمع إذا كان مصدرها فقط منابع خارجية عن المجتمع، فالأخذ بالنظريات المستوردة من الخارج يتعذر أن يؤدي إلا إلى تعزيز التعمية والفوضى اللتين نعانيهما حالياً. . حتى العلم الطبيعي المستورد لا يصبح علماً حقيقياً إلا إذا استوعبه الفكر الذاتي، وعبر عنه بأسلوبه الخاص ولغته الخاصة فأصبح وسيلة مستقلة للمعرفة والإدراك.

إن المعرفة، في أشكالها المختلفة، لا تصبح معرفة حقة إلا عندما تمتلكها الذات الاجتماعية الشاملة، فتصبح تعبيراً عن واقعها وعن إمكان تجاوز هذا الواقع. . إن كل علم وفن وفلسفة تبقى وسيلة للتمويه والكبت ما دام شكلها

مستورداً تعرض وتعلم في المدارس والجامعات. كما تعرض السلع المستوردة وتشترى دون إدراك لماهيتها والنهج الذي اتبع في صنعها.. إن العلم والفن والفلسفة المستوردة تحافظ على استمرار ذهنية الفهم الخاطىء وتقويها في المجتمع.

ومن هذا المنطلق فالمسألة التي نود التشديد عليها هي أن ما يقود العلم ويسيره في المجتمع هو دافع ينبثق من ذلك المجتمع.. فيعطيه منطقه الخاص، وطبيعته الخاصة، وليست القيم والأهداف المجردة والمطلقة التي يضعها المجتمع مرمى له ولجهده الاجتماعي.

إن القيم والأهداف دائماً تبدو منطقية «عقلانية» لكن التاريخ والاختبار التاريخي يعلماننا أن الأمر غير ذلك، لنأخذ مثلين أحدهما داخلي، والآخر خارجي: تقول «الإيديولوجية» الرأسمالية الليبرالية، إن هدف المجتمع حماية الفرد والحفاظ على حريته ورفاهيته وسعادته، بينما الواقع أن الفرد في هذا المجتمع مغترب ومستغل ومحروم ومقهور.. قال الأمريكيون إن قذف فيتنام بالقنابل أو قتل مئات الألوف من المدنيين الأبرياء هو لحماية الديمقراطية و «العالم الحر»، بينما الواقع هو أن جنوبي فيتنام كانت

ديكتاتورية عسكرية رفضها الشعب الفيتنامي وعانى على أيدي رجال حكومتها المدعومين بالمال والسلاح ـ الفتاك ـ الأمريكي أشد أنواع القهر والتعذيب. بمعنى أكثر وضوحاً، إن العلم و«التكنولوجيا» في الغرب يقومان في النظام الحاضر على الإرهاب الرسمي والدمار وليس على الخير والسعادة والسلام، إن الدافع الذي يحرك النظام السياسي في الغرب هو دافع القوة والسيطرة، هو دافع غير منطقي (لا عقلاني). إنه يسير بالتاريخ في غير مصلحة الإنسانية.

التمويه الاجتماعي

تناولنا فيما سبق مفهوم التمويه بشكل عام وخطورته على الإنسانية في إطار معرفة الذات، وتوقفنا عند سير التاريخ في غير مصلحة البشرية باعتبار القوة المسيطرة فيه الآن هو منطق شريعة الغاب، وهذه الظاهرة اللامنطقية تعشش في صميم النظام الغربي بكل حذافيره، وفي نطاقه الفكري والعلمي، وتعبر عن نفسها في علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أوروبا وفي أمريكا.. إن الخبل يخيف أكثر عندما يصيب القوي والمعافى جسيماً فلا تظهر عوارضه واضحة، فتلك هي حقيقة التمويه الاجتماعي الخطير.

والنموذج الغربي، الذي وضعناه مثالاً نحتذي به هو نموذج لكائن كهذا، إن أخذنا بهذا النموذج لا يمكنه إلا أن يؤدي إلى غرس التوتر، والتضارب، والتناقض في حياة الإنسانية قاطبة، وإلى تفشي الكبت، والعصاب والعجز

النفسي في حياة الأفراد فيه، وحتى لو نجحنا في تحقيق النمو والتقدم والازدهار المادي، كما حدث تماماً في المجتمعات الغربية «المتقدمة» و «المتطورة»، خلال القرنين الماضيين منذ بدء «الثورة الصناعية» على حد تعبيرهم. إن الذين درسوا السلوك الاجتماعي في المجتمع الغربي وعلاقاته بالعائلة أو الأسرة «بنمط تربية الفرد والتثقيف الاجتماعي» لم يدر في خلدهم أنهم كانوا يأخذون في طرحهم وتحليلهم لأنماط هذا السلوك، عن غير وعي، أنماط سلوك الغربيين نموذجاً للمقارنة.. وقد وجدت لدى بعضهم الملاحظة الآتية بعنوان.

تأثير المسايرة في مقدرة الفرد الإنتاجية

إن الرجل الأمريكي إذا وجد لديه شيء من الفراغ ينصرف إلى عمل ما، فهو إما يحرث في مزرعته وإما يعد الحطب للشتاء وإما يصلح سيارته وإما يقرأ.. أما العربي فيفتش عن سبيل إلى التسلية، فيدعو صديقاً إلى زيارته، أو يذهب هو إلى زيارة أحد معارفه أو أقاربه، وإن لم يجد أحداً يتوجه إلى المقهى، أو إلى مكان عام يفتش فيه عن أحد يتساير معه.

ومع أن الملاحظة، كما وردت أعلاه ووضعت دون أي تعليق، فإن المقارنة بين السلوكين تعبر من خلال العنوان عن أن صفة المسايرة التي يتميز بها سلوكنا تعرقل الإنتاج الاجتماعي.. بينما نزعة العمل عند الغربيين تزيد منه، وبهذا فإن السلوك الغربي يظهر من خلال المقارنة كأنه قدوة يجب الاقتداء بها. لا شك، إذا كان الإنتاج يشكل هدفاً في ذاته، وخارجاً عن أي اعتبار اجتماعي وإنساني، فإن السلوك الأمريكي يجب أن يفضل على السلوك العربي.. ولكن من المستحيل النظر إلى الإنتاج بتجريد عن السياق الاجتماعي وما يتضمنه من أهداف وقيم إنسانية نبيلة.. وهنا يظهر خطأنا العلمي في المقارنة، بسبب أن العلاقات الاجتماعية التي يعيشها الغربي، بما فيها من ارتباطات وواجبات، هي التي تقرر نمط سلوكه في الأحوال المختلفة بما فيها وقت فراغه، وأنه في نشأته وثقافته ونمط حياته اليومية «مدفوع» لأن يعمل دائماً، وأن لا يهدر الوقت لأن «الوقت مال»، حتى في أسلوب تسليته. أما العربي فوضعه الاجتماعي والثقافي مختلف، وبالتالي عاداته وأهدافه وقيمه مختلفة أيضاً، إن الإنتاج في حياته لا يشكل هدفاً أخيراً والعمل لا يرمز إلى قيمة

أساسية في منظوره الأخلاقي ولا يشكل لديه، كما لدى الغربي، فضيلة كبرى يعتز بها.. والعكس هو الواقع إذ يستحسن لديه أن يخصص وقت الفراغ للمتعة والتسلية لا للمزيد من العمل والكد.. والسؤال هنا هو أي السلوكين أفضل، ذلك الذي يزيد مما يمتلكه الإنسان، أو الذي يزيد من متعته وسعادته في الحياة.

من الخطأ الفادح أن نعتبر النموذج الغربي مثالاً يحتذى به في عملية التغيير الاجتماعي التي تجابهنا اليوم، كان هذا النموذج «ولا يزال» مصدر إلهامنا في كل ما نفكر، وفي كل ما نصنع، وفي قبولنا لهذا، يعني أننا ما زلنا ضحية التمويه الذي جمله إلينا مثقفونا المعاصرون بتقديمهم «للتراث الغربي» و«الحضارة الغربية»، وبعجزهم عن اتخاذ أي نقد صحيح نحوها، وبالتالي فهم يريدون منا أن نأخذ بكل ما هو غربي ونرفض كل ما يناقضه في ثقافتنا العربية.

إن عملية النقد العلمي تقع على عاتق الجيل الجديد من المثقفين، ربما كان الجيل الجديد أكثر قدرة من الجيل السابق على رفض التمويه الاجتماعي المزيف واتخاذ مواقف نقدية سليمة منبثقة من النظرية الجماهيرية الجديدة على ضوء منطلقات الركن الاجتماعي نحو القيم والأفكار

التي تبثها المدارس والجامعات والتي يفرضها الغرب بواسطة المجتمع الاستهلاكي القائم بصفته جيل الاستقلال والثورة، جيل الغضب الذي يعول عليه في نسف كل الثقافات البالية وإحلال محلها ثقافة عصر الجماهير.

إذن التمويه الاجتماعي يحتاج منا إلى كسر الطوق في الواقع، الذي يبعد عن أنفسنا ويحجب عنا حقيقتنا وحقيقة مجتمعنا العربي عامة إلى التغلب على هذا التمويه والتملك من ناحية المعرفة النقدية والتوصل إلى المعرفة الذاتية المستقبلية التي تشكل القاعدة الوحيدة للوعي الاجتماعي الصحيح. . لكن المعرفة الذاتية تبقى عرضة في بعض الأحيان للقوى المسيطرة في المجتمع لتحد من هذه المعرفة وتستخدمها في سبيل تأمين مقاصدها. . من هنا كان خطر التمويه الداخلي أي ذلك الذي ينبع من المجتمع ذاته من قيمه وعلاقاته المسيطرة التي تفرضها القوى الحاكمة فيه. يمثل المجتمع عندما يدخله الفرد طفلاً «مبدأ الواقع» بحسب تعبير فرويد ويفرض على الطفل كل الصفات والعادات والمميزات التي تجعله إنساناً على صورة الإنسان في مجتمعه، ويجبره على ترك «مبدأ اللذة» عالم السعادة الطفولي المتناقض مع عالم الواقع الراشد. .

وهدف كل مجتمع تجاه الطفل أن يظهره نفسياً وذهنياً ليطابق القالب الحاضري لذلك المجتمع، وذلك بترك عالم الطفولة، عالم الحرية والفرح، والانصياع لعالم الواقع، عالم الكبت والقهر.

وهكذا تتم عملية الصهر أول ما تتم ضمن العائلة حيث يختبر الفرد أهم مرحلة من مراحل حياته، مرحلة تكيفه الأول مع عالم الواقع «عالم والده ووالدته» وإخوته وأقرانه وبداية هجرته لعالم السعادة.

إن الواقع الذي يجابه الطفل في العائلة هو واقع سلطوي، فنظام العائلة، كنظام المجتمع في كل مؤسساته نظام هرمي يقوم على السلطة والعنف، ويحتل الأب فيه المركز الرئيسي والأول ويحتل الطفل المركز الآوني.. وتتميز تربية الطفل في العائلة السلطوية بالعنف والقهر المستمرين.. ولا يقلل من ذلك كون الأب عادلاً أو متسامحاً نحو زوجته وأولاده فالمؤثر الرئيسي في هذه الأمور، هو العلاقات الموضوعية التي يقوم عليها نظام الأسرة أو العائلة، وهي التي تقرر بالضرورة نوعية التفاعل بين الأفراد وتحدد دور كل منهم، لا طبيعة الأشخاص الذين تقوم بينهم هذه العلاقات.

وعلى هذا الأساس يتم التصرف نحو الطفل في العائلة التي يلعب ضمنها الأب الدور المسيطر تصرفاً في غالبه سلبياً. . بحيث ينقل إلى الطفل وينمي فيه الشخصية السلطوية التي تتميز بخضوعها للسلطة، وفي الوقت نفسه بتعاليها على من هم دونها. وبنزعتها المحافظة. . وفي حين تزرع بذور هذه الشخصية ضمن العائلة، تنمى صفاتها في كل المراحل التي يمر فيها الفرد في المدرسة والجامعة والوظيفة والدولة، وكما رأينا سابقاً فإن عقل الطفل وتركيبه العاطفي وبالتالي مقدرته على مجابهة الواقع والتفاعل معه كعضو في المجتمع، تتأثر تأثيراً بالغاً بأسلوب المعاملة والتربية اللتين يتعرض إليهما في السنوات الأولى من حياته فإذا كانت المعاملة سليمة والتربية صحيحة كان هدفهما تثبيت الثقة بنفسه وتشجيعه في كل ما يقوم به وإشباع فضوله بالإجابة على أسئلته إجابات صادقة وكاملة، وتقوية إرادته واعتماده على نفسه وغمره بالمحبة والرعاية دون امتلاكه أو الحد من استقلاله الذاتي، أما إذا كانت التربية تقليدية فإنها تؤدي إلى إحباط عزيمة الفرد وضعف ثقته بنفسه. . وتقوية اعتماده على الغير. والحد من فضوله بتجاهل أسئلته أو الاستهزاء به وبالقضاء على استقلاله الذاتي.

المبحث الخامس:

فهم طبيعة التناقض

إن أخطر ما يواجه العمل الثوري في الواقع هو فهم طبيعة التناقض القائم بين الفكر المبدع والخلاق الذي تطرحه الثورة، وبين كافة العقائد البالية والمختلفة والتي تجسدها الثقافة الرجعية في شتى صورها وعبر كافة التراكمات التاريخية المعوقة لتأكيد وترسيخ ذلك الفكر الإنساني العظيم فكر عصر الجماهير، وبالتالي، إذا لم تكن هناك قدرة كافية على استيعاب تلك المعوقات الخطيرة ستظل ممارسة الثورة حيالها غير فاعلة الأمر الذي يحتم بالضرورة التأكيد على فهم طبيعة التناقض القائم بينها وبين القوى المعادية لها، وهذا لن يتأتى إلا عن طريق التعمق في الدراسة والتحليل لنظرية الثورة ذاتها وبشكل علمي سليم، وبعيداً كل البعد عن الدراسة العشوائية والعاطفية والتحليل السطحي لها.

وعلى هذا الأساس تصبح عملية فهم طبيعة التناقض

القائم في الواقع بين الثورة وأعدائها عملية ضرورية جداً، ولا بد من الاهتمام بها وأخذها في الحسبان من قبل الثوريين الذين ينتمون للثورة فكراً وسلوكاً.. وقولاً وعملاً.. ولكي تنصب مهمتهم الأولى على تلك العملية الأساسية في ممارسة الثورة بالواقع والتي تتصل في بعض الأحيان إلى حد بعيد بنضالهم السلبي، وإن كانت تأخذ أشكالاً جديدة بالضرورة.. فإذا كان طبيعياً أن تتجه كل الطاقات الثورية إبّان النضال في مواجهة أنظمة الحكم الرجعية.. نحو هدف محدد.. هو توجيه الضربات الكثيرة المتلاحقة لتلك الأنظمة وفي كل مناسبة، سبيلاً إلى خلخلة بنيتها، وبالتالي، الانقضاض عليها دفعة واحدة.. فإن مهمة الثوريين بعد أن تستلم الجماهير السلطة بأسلوب الثورة الشعبية ثورة الغد، لن تقف عند هذا الحد بل.. بالتأكيد ستتوجه بكل تلك الطاقات الثورية الفاعلة نحو المؤسسات الموروثة عن الأنظمة التي تمت الإطاحة بها، والمعادية في نفس الوقت للجماهير ذاتها.

إن التغيير الجذري لن يقف بكل تأكيد عند حد عملية الخلخلة لبنية تلك الأنظمة المتداعية والمتهالكة بل سيتجاوزها إلى نسف آخر أوتاد السلطة الاستبدادية

المتحكمة في الجماهير هذا من جانب ومن جانب، آخر، فالتغيير الثوري والجذري الذي نعنيه هنا، ليس موقفاً فورياً معنياً ومتعجلاً، كما أسلفنا من قبل في سياق الحديث عن الانتماء الثوري. إنه صراع طويل يمثل طرفه الأول: الجماهير المظلومة والكادحة صاحبة المصلحة الحقيقة في التغيير على امتداد العالم، وطرفه الثاني: مستغليها ـ بكل قوة طاقاتهم الداخلية وارتباطاتهم الخارجية، وبالتالي، فإن عملية الصراع تشترط بالضرورة في الثورة وجماهيرها.. أن تحرز النصر النهائي على أعدائها.

من هذا المنطلق يصبح المنتمي الثوري أين ما كان يواجه جملة من التحديات اليومية ضمن طبيعة هذا الصراع، وبقدر ما تشكل تلك التحديات له حافزاً يدفعه باستمرار لمواصلة مسيرته الثورية من مواقع متقدمة لممارسة الثورة، ولأن يكون أكثر وعياً. فإنها في أحيان كثيرة، تضعه حبيس دوامات الانفعال والتشكي، إذا غابت عنه بعض المقاييس التي ينبغي أن يعتمدها دائماً.. إن خطأً فادحاً نرتكبه جميعاً، حين نتصور ـ مثلاً ـ أن مسألة الثورة ومهمتها، تمشي صعوداً وبوتائر ثابته دونما التعرض إلى بعض الاهتزازات ضمن الخط البياني الذي يرسمه

النهج الثوري. . والخطأ الأفدح، هو عندما يتصور ـ مثلاً ـ بعضنا أن مستقبل الثورة وطموحاتها، يمكن أن تتحول دفعة واحدة، وبقوة خارقة جبارة إلى أشياء أو كيانات مادية متحققة وضمن فترة زمنية محدودة. . وعن هذا التصور الخاطىء والوهن تنشأ وتتفرع أخطاء كثيرة لا طائل من ذكرها في هذه العجالة، وهي في نهاياتها، طوق الأعداء الذي يضيق يوماً بعد آخر على المنتمي الثوري بعيداً عن واقع التغييرات. . وما يترتب عليها من تحركات معادية غير مدركة للوهلة الأولى.

ولهذا ينبغي على المنتمين ثورياً دوماً أن يعيشوا مع الجماهير التي تشكل المضمون الحقيقي للثورة في إطار طبيعة الصراع مع القوى المعادية لها، تلك الجماهير التي وهبت الثورة كل شيء ـ النفس والنفيس والغالي والرخيص. . ومع هذا فهي تطلب مقابل ذلك كل شيء وبالتأكيد. . إلا أنه في كثير من الأحيان يظل المنتمون ثورياً من خلال القيام بمهامهم الثورية قاصرين أمام تحقيق جزء يسير مما تريد. . وإذا كان الخطأ الأول ـ مثلاً ـ يمكن حصره في بعض العناصر الثورية ضمن إطار الانتماء الثوري بشكل عام. . في وقت النضال السلبي. . والتي

آثرت أن تستأثر بحيز واسع من ساحة النضال ذاته، خلال شعارات حماسية وعاطفية، فإن مهمة الثوري الحقيقي، أن يدفع الجماهير إلى مواقع العمل الصحيحة وينطلق معها من موقف الوعي في عملية إحراق للمراحل باتجاه أهدافها التي تناضل من أجلها وصولاً إلى تحقيقها.

إن حدوث بعض الأزمات والاختناقات الاقتصادية والتي تظهر على أثر عمليات التغيير الجذري في الواقع، وسواء تمثلت في اختفاء بعض السلع الأساسية والضرورية مؤقتاً، أو بشكل دائم مثلاً ـ أمر يمكن أن يكون محصلة للتغيير ذاته، وسواء كان بسبب تحرك القوى المعادية، أو نتيجة لخط اقتصادي جديد ترسمه الثورة لتكريس كل إمكاناتها لعمليات تحول شامل تنتهي لصالح البناء الثوري المقصود.. ومن هنا ينبغي على الثوريين ألا يقفوا مكتوفي الأيدي أو أسرى لدعايات الأعداء،، وإنما يجب أن يكونوا قادرين عملياً على استخلاص كل الحقائق التي تقف وراء هذه الظواهر.. عندها يتخلص من يشكل واسطة لنقل الدعايات للأعداء أنفسهم، ومن الموقف النقيض التبريري الذي يحاول أن يفسر كل ظاهرة على أنها من صنع الثورة.. مغفلاً عمليات التخريب التي تعتمد عليها القوى المعادية ضمن ما تمتلك من تأثيرات مواجهة

ضد العمل الثوري المبدع والخلاق، والذي يستهدف بالضرورة التغيير الجذري المطلوب.

من هنا يمكن للمنتمين ثورياً للثورة أن يستفيدوا من هذا التحدي الخطير في سياق جدلية الصراع الطويل بين الثورة وأعدائها.. وأن يحولوا ذلك إلى حافز للمراجعة والتمحيص.. وأن تكون التحديات اليومية التي تجابههم، دليلاً على تجدد مهامهم وقدراتهم على الاستيعاب ومواصلة النضال.. إذاً لا بد أن تتوثق العلاقة بين الثوريين وكافة الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة.. من خلال التوعية والتعبئة الشاملة والدائمة والنضال المشترك ضد كل الظواهر غير السوية التي يطمح المعادون إلى تحويلها لركامات يمكن أن ينطلقوا منها للانقضاض على الثورة نفسها.. فإن مهمة أخرى ينبغي أن تستأثر باهتمام الثوريين وهي الاستقصاء الحاد لجذور تلك الظواهر التي يقف ورائها المعادون لاستئصالها كلياً لدفع حركة الثورة أولاً، لتوثيق علاقتها بالجماهير من موقف القناعات المشتركة.

محاولة تيئيس الثوريين

إن محاولة تيئيس الثوريين في إطار طبيعة التناقض القائم

بين الثورة وأعدائها عبر جدلية الصراع الطويل مسألة واردة الاحتمال بدون أدنى شك في ذلك، وهو أسلوب قذر وجبان تلجأ إليه القوى المعادية عندما تفشل في التصدي للثورة.. داخلياً أو خارجياً من خلال التصادم المباشر، فإن تلك القوى المعادية لا تسلم مطلقاً بزوال مصالحها، بل تحاول عبر مسالك متعددة أن تكيف نفسها ووسائلها وفق إمكانياتها هي من جهة، ومن جهة أخرى وفق إمكانيات الثورة ذاتها. وهذا ما يفسر بطبيعة الحال تعدد وخطورة الأساليب التي قد تلجأ إليها هذه القوى في مجابهة نماذج العمل الثوري على كافة الأصعدة، وفي مجمل القول ليست بعيدة عنا من التصدي المباشر.

وبالطبع فهذا الأمر وارد الاحتمال ولا توجد أي إمكانية على الإطلاق لتجاهله، إن لم نقل سوف يظل وشيك الحدوث بين لحظة وأخرى.. فتلك هي أساليب طبيعة الصراع المحتم بين قوى الخير وقوى الشر.

من هذه المحاولات اليائسة التي تستهدف بالضرورة «تيئيس» الثورة والثوريين، ما تعرضت له ثورة الفاتح العظيمة منذ الوهلة الأولى لتفجرها.. فقد جابهت أبشع وأفظع تلك المحاولات التآمرية القذرة والجبانة والخطيرة

في نفس الوقت سواء منها على الصعيد الداخلي أو الخارجي، فكلها تشكل امتداداً طبيعياً وخَطيراً للقوى المعادية التي تحاول النيل من الثورة بشتى الطرق وبمختلف الوسائل، وبقصد محاولة التخلص منها بعد أن شقت طريقاً سوياً ومتقدماً مع الجماهير، ومجرى أصيلاً متميزاً، بدأ واضحاً منذ إعلان البيان الأول للثورة، الذي تجسد نظرياً وعملياً في صياغة شمولية قدمت الحل الأمثل على أساس سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه.

لقد استوعبت تلك الصياغة الشمولية المتقدمة كافة التجارب الإنسانية عبر جميع العصور والتي توّجت في تلك الجماهير نفسها بنفسها محطمة بذلك كافة الأدوات التقليدية التي تكبل حريتها وتكبح إرادتها، حيث أصبح ذلك واقعاً ملموساً منذ 2 مارس عام 77 افرنجي وهو الحدث العظيم الذي غيّر مجرى التاريخ رأساً على عقب وهيأ ظروفاً مناسبة للجماهير المغلوبة على أمرها بفعل أدوات الحكم التقليدية السائدة في العالم الآن، لكي تعبر تلك الأدوات البالية والمفلسة بأساليب الثورة الشعبية إلى عصر سلطة الجماهير، ومع هذا فقد ظلت القوى المعادية في صراعها الخطير تشكل حواجز وأسيجة أمام الجماهير

هذا من جانب، ومن جانب آخر.. ممارسة تلك المحاولات والتي لم تكن هي الأخيرة أو اليتيمة لأعداء الثورة، بل أعقبتها وسوف تعقبها بالتأكيد محاولات أخرى لتيئيس الثورة وجماهيرها في كافة أنحاء العالم طالما أن طبيعة الصراع ما زالت مستمرة حتماً بين الثورة وأعدائها، حتى وإن كانت كفة الميزان في هذه المسألة مرجحة دوماً لصالح الثورة والجماهير.

بل ليس هذا فحسب، فقد جرب المستعمرون وحلفاؤهم في الداخل، والخارج وعلى امتداد طبيعة التناقض أسلوب تشويه الثورة، في محاولات تآمرية يائسة لعزلها عن الجماهير وتعطيل دورها أو، التقليل منه كحد أدنى في عملية المجابهة للتحالف الامبريالي العالمي والصهيوني الرجعي.. متعددة الأساليب وبمختلف الوسائل مثلما تفعله تلك القوى اليوم حيال الثورة، والتي تستهدف في مجملها محاولة القضاء عليها أو إبقاءها بعيدة كل البعد عن مواقع التأثير الفعلي في النضال التحرري العالمي.. وهذا لا يعني بالضرورة أن تلك القوى المعادية التي تستهدف تيئيس الثورة قد انتهت خطورتها وإلى غير رجعة مثلما قد يتصوره البعض، بل على العكس من ذلك

كله، فطالما كانت الثورة تشكل خطراً حقيقياً باستمرار على مصالح الاستعمار ومخططاته في الداخل والخارج على حد سواء، فإن تلك المحاولات لن تقف عند أي حد بل ستظل مستمرة بحكم استمرار طبيعة التناقض القائم بينهما.

إنها مسألة مهمة وضرورية ينبغي فهمها واستيعابها في إطار الانتماء الثوري والعمل بكل دقة للقضاء على تلك المحاولات متى بدأت تشكل خطراً على ذلك، وهي مسألة حتمية ولا مفر منها أبداً مهما تكن النتائج المترتبة عليها، إن القوى المعادية للثورة والجماهير معاً، لن تقف مكتوفة الأيدي أمام الخطر الذي تشكله الثورة على مصالحها في أي مكان وزمان وبالتالي ستعمل تلك القوى المعادية بكل قواها المادية والمعنوية على محاولة تيئيس الثورة والثوريين عبر كافة السبل والطرق التي من شأنها ضمان حماية مصالحها وتعزيز وجودها ونفوذها على جميع المستويات، وسواء كان ذلك بشكل منظور أو غير منظور فتلك مسألة ليست مهمة بالنسبة لطبيعة التناقض، بل إنها لن تبالي ولن تتورع لحظة واحدة من ممارسة محاولات تيئيس الثورة والمنتمين إليها وخاصة متى صفت الأجواء المناسبة، وعلاوة على ذلك فهي أي القوى المعادية تعتبر

ذلك ضعفاً في قوة الثورة وصلابتها، وفرصة ثمينة بالنسبة لها للانقضاض عليها بأيسر السبل، ولهذا تقوم بتجنيد عملائها وتحريكهم ليتولوا مهمة دورها المعادي وتنفيذ مخططاتها بدقة متناهية، والأمثلة على ذلك صارخة وواضحة ولا تحتاج لأي تدليل باستثناء استقراء تاريخ طبيعة الصراع ذاته.

وبناء على ما تقدم تصبح عملية فهم طبيعة التناقض عملية ضرورية تأتي في مقدمة أولويات العمل الثوري المبدع والخلاق، ولا مناص منها على الإطلاق، لذا يجب أخذها في الحسبان والعمل على اكتشافها من خلال الممارسة الحقيقية للثورة، واتخاذ كافة الإجراءات الثورية الفاعلة وبشكل دائم ومستمر من أجل القضاء على فلولها متى حان الوقت المناسب دون أية هوادة ولا شفقة ولا رحمة في ذلك مهما يكن الأمر، وهو العمل الثوري العظيم الذي ينبغي على المنتمين ثورياً القيام به ذاتياً من خلال كافة المواقع الثورية أي المثابات الثورية وعندئذ سيعلم الذين ظلموا إلى أي منقلب ينقلبون.

القدرة على الاستيعاب

إذا كانت الثورة وفقاً لمفهومها الجديد، تعني إعلان الحرية التي لا تتجزأ، فإن الوصول إلى ذلك ليس بالعمل السهل والبسيط بل يستدعي الأمر بالضرورة من المنتمين إلى حركة الثورة أن تكون لديهم القدرة على استيعاب كل المراحل التي تمر بها تلك الثورة وخاصة إبّان ظروف الانتقال ضمن التغييرات الجذرية في طور حركة المجتمع من مرحلة إلى أخرى، وهذا لن يأتي ما لم يكن عندهم سعة الأفق الإيديولوجي الذي يكتسبونه من خلال الدراسة والتحليل باستمرار لنظرية الثورة ذاتها ـ نظرية ـ تحرير الحاجات المادية والمعنوية والتي لا تكون إلا في ظل الحرية في مفهومها الحقيقي.

ومن هذا المنطلق تظل مسألة القدرة على الاستيعاب بالنسبة للثوريين مسألة ضرورية وواجبة، وليست مسألة شكلية كما يتصورها البعض وبدونها سوف لن تكون هناك

ممارسة حقيقية للثورة تؤدى لتأكيد وترسيخ سلطة الشعب الذي لا سلطة لسواه. . وهو الأمر المهم الذي ينبغي على الثوريين العمل بكل وفاء وإخلاص دوماً من أجل تعزيز ذلك باستمرار، ومهما تكن الظروف والنتائج المترتبة على ذلك، وبهذا العمل العظيم، يمكن للثورة أن تسلك طريقاً متقدماً دائماً نحو تحقيق المزيد من الأهداف الثورية وفقاً لخط نهجها. . ولا تلتفت إلى الخلف، إلا لتجري كشفاً مع نفسها وتمحيص حصيلة مسيرتها الطويلة. . وصولاً إلى الصورة المثلى التي وضعتها بدقة متناهية في مقدمة الأهداف المرسومة لذلك. . وليس جديداً القول - أن أية ثورة لا تستغني عن واحدة من مقوماتها الأساسية. . فليست ثمة ثورة بدون فكر علمي واضح، وبدون التعبير عن هذا الفكر الإنساني الثوري. . يصبح الفكر نفسه جهداً ضائعاً قد ينحاز - في أحسن احتمالاته - إلى ركن ضئيل في التراث الإنساني الهائل.

وعلى هذا الأساس تصبح مسألة القدرة على الاستيعاب مسألة أساسية وجوهرية واجبة بموجب الثورة ذاتها من أجل أن يستمر الفكر الرائد وصانع عصر الجماهير، فتلك هي المهمة الثورية الإنسانية العظيمة التي تحتم بالضرورة

على المنتمين للثورة القدرة على الاستيعاب، وبدون ذلك قد لا توجد أية إمكانية معينة تضمن استمرار الفكر بدون صاحبه ما لم تحصل المعجزة من عند اللّه تعالى الذي هو على كل شيء قدير، لذا يترتب على الثوريين السعي الدؤوب من أجل الحصول على القدرة والاستيعاب من خلال الأفق الإيديولوجي الذي تطرحه النظرية الجماهيرية الجديدة، وعندئذ يستطيعون الوصول إلى ذلك بكل يسر هذا من جانب ومن جانب، آخر.. وضع الجماهير التي تشكل المضمون الحقيقي للثورة والتاريخ معاً في دورها الأساسي من أجل تحمل طبيعة المهام الثورية عن طريق الكفاح المقدس وتزويد الثورة بما تحتاج إليه من دماء فتية ومتجددة.. وإذا كانت أية ثورة تقاس هويتها الثورية التقدمية من خلال موقفها الفكري، للوهلة الأولى، فإن التعبير عن هذا الموقف يصيغ النضال الجماهيري الذي يؤكد بالضرورة أصالة هذه الهوية أو تلك، وهو الذي يطرح كل زيف يعلق بها من خلال الممارسة الحقيقية للثورة ـ والممارسة وحدها.

ومن هذا المنطلق فإن القدرة على الاستيعاب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالممارسة الواعية والمسؤولة للثورة.. والتي من خلالها تجابه الثورة أموراً كثيرة تجعلها أكثر انتساباً إلى

النهج الثوري الحقيقي أو تطرحها خارج هذا النهج، وتبعاً لطبيعة المعالجة التي تخططها الثورة في مجابهة كل القضايا والموضوعات التي تطرح عليها من خلال الواقع والمعايشة.. وليست شرطاً أن تكون تلك القضايا والموضوعات معقدة لكي تكشف عن جدية الثورة ونظرتها العلمية الموضوعية.. إن المعالجة واحدة في كل الأمور سواء الكلية أو الجزئية.. فالنظرية الجذرية واعتماد العلم والممكنات الموضوعية وتوخي الحل السليم وسلامة المسار الثوري تشكل في مجملها الركائز الأساسية التي لا يمكن أن تحيد عنها أية ثورة إلا إذا حادت أو تخلت عن نفسها.

وهكذا فمسألة القدرة على الاستيعاب في مفهوم الثورة وممارستها بالشكل الصحيح تفرض نفسها فرضاً ضرورياً ليس بالإمكان الاستغناء عنها مهما يكن الأمر وتحت أي ظرف كان، وبالتالي، ثمة جملة من التساؤلات ينبغي طرحها لكي يتحدد الانتماء الثوري الأصيل، والذي تشكل الممكنات الموضوعية والأفق الإيديولوجي معالمه الرئيسة وسياجه الواقي المتين.. إن الإجابة على السؤال الحاسم والهام، ما معنى أن تكون ثورياً؟.

يفتح الباب للإجابة على الأسئلة الأخرى.

أولاً: ما معنى أن تكون ثورياً؟

على الرغم من كثرة ما قيل ويقال في هذا المجال، إلا أنه يبدو من المفيد في الانتماء الثوري التعرض ولو بشيء من القليل لهذا السؤال الهام والخطير في نفس الوقت، باعتباره لا يزال يدور حوله جدل ونقاش، وبالتالي مسألة التعرض إليه هي تحصيل حاصل ولا مفر منها على الإطلاق، لذا يمكن القول بإيجاز - إن المعيار الذي يبقى صادقاً لأي ثوري هو في الانتماء والانحياز بالكامل إلى الجماهير الكادحة والمظلومة والمضطهدة بفعل أدوات الحكم التقليدية السائدة في العالم الآن ومهما كانت طبيعة نظامها وشكلها، المهم هو أن تحكم دون الجماهير ونيابة عنها، والتعبير عن هذا الانتماء من خلال الممارسة الحقيقية للثورة بما يرجح دائماً تحقيق الجماهيرية الشعبية النموذج وانتصار الحرية حرية الجماهير التي تشكل المضمون الاجتماعي للثورة وفق نهج علمي مدروس.

وبمعنى آخر ليس الثوري من يعتقد في نفسه صفة التعالي على الجماهير أو يستهين بقدرتها على تولي زمام أمرها بنفسها. . حتى لو كان مصيباً في بعض الأحيان. . أن يقطع صلته بكل الولاءات الزائفة ولا يبقى إلا على ولاء

واحد وهو الانتماء والانحياز المطلق للجماهير والثورة معاً، وهو بهذا الاختيار العظيم يشكل دعامة أساسية وجوهرية للموقف الثوري، وبقدر ما تعبِّر الثورة ذاتها عن موقف علمي واضح فإن الثوري - خلية البنية الثورية الأساسية - يشترط فيه أن يكون النموذج الأمثل لهذا الوضوح الواعي، الإخلاص والمعاناة والحماس لطموحات الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة كلها مشترطة في الثوري النقي الذي له انتماء أصيل للثورة.

إلا أنها - وحدها وبمجموعها - مجردة عن الموقف الثوري الفاعل الواعي - لا تعبر عن الثوري - فمعنى أن تكون ثورياً؟ يؤكد بداهة - أن تكون صادقاً فيما تقول وحريصاً كل الحرص عملياً على ما تقرر وتخطط وتنفذ دون الاعتماد على الآخرين بأي حال من الأحوال - وأن تكون مسؤولاً عن كل ما تتخذه، وينبغي أن يؤدي ذلك إلى ممارسة الثورة لمفهومها الصحيح، ويحركها دائماً نحو مواقع متقدمة كل يوم، تلك هي جزء من الإجابة عن التساؤل المطروح بكل بساطة.

بل ليس هذا فحسب ودائماً. . لن يكون الانتماء الثوري الصحيح إلا من خلال عملية القدرة على الاستيعاب لكافة

القضايا والموضوعات سواء منها التي تطرحها الثورة أو التي تتعامل معها في الواقع المراد تغييره بشكل جذري وعلى كل المستويات. . إن التعاطف والحماس والهتاف وما إلى ذلك من الأشياء التي يعبر بها الثوريون ليست هي المعيار الحقيقي في الانتماء للثورة، بل تظل مسألة القدرة على الاستيعاب هي المعيار الوحيد الذي من خلاله إصدار حكم صحيح على ذلك عن طريق القدوة في المهارة والمسلك، وهذا لا يأتي إلا بفهم واستيعاب عميق للأفق الإيديولوجي الذي تطرحه نظرية الثورة ذاتها.

إن من بديهيات العمل الثوري المبدع والخلاق القدرة على استيعاب مراحل الثورة إبّان ظروف الانتقال عموماً وهي التي تشكل دائماً الخاصية الأولى لها، وتميزها عن الأشكال الأخرى من التغييرات الطفيفة والجزئية والطارئة، وبدون القدرة على استيعاب الآفاق الواسعة للتحرك الثوري على كافة المستويات والتعامل بنفس المنطلقات الجذرية مع الجزئيات والتفصيلات المطروحة بشكل متجدد. . بدون ذلك تجد الثورة نفسها أمام خنادق كثيرة تسقط فيها شاءت أم أبت.

وهذا هو الأمر المهم الذي ينبغي على الثوريين أن تكون لديهم القدرة الكافية على استيعابه دوماً، وأن يفهموا

ذلك فهماً جيداً. . وأن يبتعدوا عن الفهم السطحي والعاطفي لكل القضايا والموضوعات سواء تلك التي تطرحها الثورة أو التي تتعامل معها وتجابهها في واقع المعايشة، وهم ملزمون ثورياً بحكم قاعدة الانتماء للثورة بالعمل بكل جدية ومصداقية ثورية على نشرها والتبشير بها وتنفيذها مهما يكن الأمر في ذلك، أو تلك التي تعارضها وتستخدمها القوى المعادية للثورة من خلال الواقع، وسواء كانت بشكل منظور أو غير منظور فالنتيجة دائماً واحدة، ولهذا السبب تصبح مسألة القدرة على الاستيعاب في العمل الثوري مسألة ضرورية وحيوية في نفس الوقت من أجل تحقيق المزيد من النجاح.

فالعمل الثوري بدونها لا يمكن أن يحقق المستهدفات الثورية التي يطمح إليها إن لم نقل سيبقى مبتوراً وعديم الفائدة على الإطلاق. . وبالتالي فالقدرة على الاستيعاب مسألة مهمة وذات علاقة مباشرة بممارسة الثورة في الواقع، وينبغي الاهتمام بها وإعطائها حقها كما يجب من خلال البرامج الثورية التثقيفية والعملية لحركة اللجان الثورية. وبدون ذلك يفقد أعضاء الحركة فاعليتهم وقدرتهم على إحداث الفعل الثوري في مواجهة القوى المعادية للثورة فتلك هي مسألة مهمة جداً.

التعامل مع الجماهير

من المهم في إطار الانتماء الثوري التأكيد على جملة من الموضوعات المنطقية والموضوعية والثورية ذات العلاقة العضوية والمباشرة في الانتماء، وهي تفرض نفسها بإلحاح على كل المنتمين ثورياً إلى حركة الثورة، وبالتالي، تظل في مقدمة تلك الموضوعات الهامة مسألة التعامل مع الجماهير لأنها تعتبر القضية الأساسية الأولى بالنسبة للثورة ذاتها.

ومن هذا المنطلق نحاول في هذه العجالة تسليط بعض الأضواء حول هذه المسألة وهي مهمة التعامل مع الجماهير التي تشكل المضمون الحقيقي والاجتماعي للانتماء الثوري الصحيح هذا من جانب، ومن جانب آخر اعتبار الجماهير هي الأرضية الصلبة التي تنطلق منها مشروعية الثورة في مفهومها الجماهيري الجديد وصولاً إلى تحقيق هدفها النهائي ألا وهو: تحرير تلك الجماهير من كافة القيود التي

تكبل إرادتها وتكبح حريتها.

وعلى هذا الأساس ينبغي على المنتمين ثورياً مراعاة ما يلي:

أولاً: إن المعايير الأساسية الثابتة في المنتمي الثوري إبّان مرحلة الصراع مع الأنظمة الرجعية المتخلفة معايير لا يستغنى عنها.. إلا أنها ليست هي المعايير الوحيدة، ولا تشكل التزكية التي تمنح الثوريين الركون إلى المتعة والراحة والوقوع في شباك مصيدة الأمجاد الماضية.. بل ينبغي أن يكون الصمود لدى الثوريين في الاستمرار في المعاناة وخوض المعارك النضالية المتواصلة ضد القوى المعادية للثورة والجماهير معاً، هي السمة الثورية الصحيحة في إطار الانتماء الثوري الحقيقي، ويعتبر ذلك مكسباً عظيماً لحركة الثورة كلها.. وينبغي أن يشكل هذا العمل الثوري المبدع والخلاق حافزاً دائماً للثوري نفسه، ويمنحه التشبث بالصورة المثلى في كل شيء.

إن مرحلة تصعيد الثورة في إطار المواجهة ضد خصومها تطرح دائماً أمام الثوريين إغراءات عديدة وبقدر

تفوقهم في مقاومة الإغراءات المادية والمعنوية والصمود في موقع ترجيح كفة الثورة دائماً، بقدر ذلك تماماً يكون الثوريون منسجمين مع أنفسهم ومستمرين في العطاء بدون مقابل، بل لا يفكرون بالمقابل أساساً. . إن تعميق فكر الثوريين. . وضرورة تسليحهم بكل ما يجعلهم قادرين على استيعاب احتياجات كل المراحل التي تمر بها الثورة والتي تعني فهم حقيقي لعملية التعامل الجماهيري، وبالتالي يظلون مساهمين في مسألة دفع الثورة والجماهير في آن واحد نحو آفاق جديدة ومتقدمة كل يوم ذلك هو العمل العظيم الذي يجب بذل أقصى جهد فيه وفق الآتي:

1 ـ رصد كل النوازع والظواهر النفعية ومحاربتها بصراحة والقضاء عليها نهائياً حفاظاً على الثوريين أنفسهم.

2 ـ أن يشعر الثوريون بخطورة وصعوبة مرحلة تصعيد الثورة في مواجهة القوى المعادية وما يترتب عليها من نتائج سواء كانت لصالح الثورة أم ضدها، وألا يركنوا إليها مهما كان الأمر بل. . أن يعملوا بكل قواهم المادية والمعنوية على امتلاك زمام المبادرة من أجل إحراز النصر النهائي فيها لصالح الثورة وجماهيرها.

3 ـ التزود بالفكر النير الذي يساعدهم باستمرار على وضع الأسلوب الثوري السليم في مسألة التعامل مع الجماهير بالواقع، ويكون قادراً بالتأكيد على التجاوب مع كافة القضايا والموضوعات الحياتية واليومية لتلك الجماهير، ويعمل على حل تلك الظواهر جذرياً وإيجاد البديل الأمثل لها، وهذا الفكر هو فكر الثورة ذاتها، والاعتماد على أساس تنمية الحس النقدي الذاتي البناء القادر في نفس الوقت على الرفض والأخذ منه موقفاً ثورياً إيجابياً.

4 ـ أن يفهم الثوريون موقعهم في حركة الثورة بشكل صحيح وينبغي أن يحرصوا عليه دائماً ويفضلونه على غيره والذي غالباً ما يكون في صفوف الجماهير، وبالتالي، يتخلصون من الوقوع في أمراض اعتماد المراكز الوظيفية للتعبير وللتقييم، والابتعاد عن موقف الغرور وتحاشي الانزلاق إلى مواقع اليأس في آن معاً.

ومن هنا يظل التعامل مع الجماهير أمراً أساسياً وجوهرياً وضرورياً في ممارسة الثورة بمفهومها الجماهيري الجديد، الذي ينبغي على الثوريين من خلال قيامهم بمهامهم الثورية معرفة ذلك معرفة تامة وواعية ولا يمكن بأي حال من

الأحوال أن يستغنوا عن الجماهير بالتأكيد، في مادتهم الأساسية والجوهرية، والاحتياط الاستراتيجي الهام الذي لا يجوز ثورياً تجاهله أو إغفاله.. وعلاقة الثوريين بالجماهير ليست علاقة آلية ميكانيكية تضع أحدهما فوق الآخر وإلى جانبه، بل هي جدلية عضوية مصيرية تضعهما في تلاحم يصعب فكه.

إن هذه العلاقة تعتبر ظاهرة صحية وطبيعية لأي ثوري وبدونها ينقلب إلى كيان منكمش على نفسه ينتهي بالضرورة إلى التآكل والاندثار.. ومن هنا فإن مرحلة تصعيد الثورة في مواجهة القوى المعادية، هي من أهم المراحل التي يجب استيعابها من قبل الثوريين وخاصة في سياق التعامل مع الجماهير، فهي مرحلة حاسمة، في نفس الوقت، يتم من خلالها توثيق العلاقة المصيرية بين الثورة والجماهير وفق أسس علمية لصالح هذه الجماهير ذاتها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى.. فهي عملية إسناد وضرورية للثورة وتطوير لها، وبالتالي تصبح مسألة فهم كيفية التعامل هذا مهمة ثورية تأتي في مقدمة كل المهام الثورية الأخرى.

بل ليس هذا فحسب وإنما، ثمة أسس أخرى ينبغي على

المنتمين أخذها في الحسبان وأن يعتمدوها في تعاملهم مع الجماهير إبّان مرحلة تصعيد الثورة عملياً في الواقع بما يواكب التغيير الجذري المطلوب في كل موقع، وهي التي تشكل باستمرار سبيلاً وحيداً لتعميق الثورة وديمومتها.

ثانياً: عرض الثورة أمام الجماهير بصورتها المشرقة والحقيقية من خلال سلوك يومي للثوريين عن طريق التعامل، والذي يعطي الجوانب الإيجابية والحقيقية لممارسة الثورة بشكلها العلمي، ودون إيقاع الجماهير في وهم التخيلات ونزاهة العمل أو براءته من الأخطاء.. إن أفضل ما تقدمه الثورة إلى جماهيرها في الواقع ذلك الأسلوب الذي يحمل الجماهير مسؤولية الدفاع عنها من خلال شعورها الكامل أنها ثورتها أولاً، ومن خلال إدراكها أيضاً.

ثالثاً: إنها بحاجة إلى كل طاقاتها، وبخط متواز مع اتجاهها للعطاء الدائم. مخاطبة الجماهير باللغة التي تفهمها.. إن أحد أهم شروط الثورة هو وضعها هدفاً يومياً في النضال الجماهيري وذلك عن طريق إيجاد قاسم مشترك للغة التي تفهمها الجماهير جيداً وتدرك كل أبعادها.. إن كيل الوعود بلا حساب،

والثرثرة اللامسؤولة قد تلف مدوداً من الجماهير تنطوي تحت شرائح اجتماعية معينة ومتصارعة حول الثورة، إلا أن هذه المدود ستنقلب إلى قطيعة تامة بين الثورة وجماهيرها بشكل عام وتنكمش تلقائياً. . عند أول صدمة على طريق النضال. . ومن هنا فإن مخاطبة الجماهير باللغة التي تفهمها، ومصارحتها بالحقيقة حول المشاكل التي ينبغي أن تجابهها وتشخيص مواقع أعدائها، والتأكيد على مصلحتها في بقاء الثورة واستمرارها وبأمثلة واقعية. . إن ذلك كله يخلق اللغة المشتركة البسيطة بين الثورة وجماهيرها ويعمق الروابط المصيرية بينهما وفقاً للقاعدة الطبيعية في التعامل بين الأشياء.

رابعاً: الحرص كل الحرص على تخليص الجماهير من كل الأوهام أو التقاليد البالية المتخلفة التي تشدها عن خوض معاركها لصالح تقدمها وحياتها المثلى المنشودة ومن خلال اعتماد برنامج التعبئة الشاملة والتوعية النوعية والعلمية الدائمة، والابتعاد عن أساليب استفزاز المشاعر والاستهانة بإيمان الجماهير بالأشياء مهما كانت ساذجة ومغلوطة.

خامساً: إن محاولة اقتلاع رواسب وتراكمات مئات السنين لا يمكن أن تنجح إلا باعتماد الأسلوب العلمي لممارسة الثورة من قبل الثوريين وذلك بتقديم القرائن الواقعية والحلول الإيجابية وربط الجماهير بواقع يومي يشدها بالتأكيد لمواصلة النضال الدائم من أجله.

سادساً: ضرورة نبذ النظرة الاستعلائية والاستهانة بالجماهير.. إن الثوري الذي يفقد القدرة على التعامل مع الجماهير ما في ذلك شك أنه يسيىء إلى الثورة كل يوم حين يتعامل مع تلك الجماهير على أساس كمي ينتقي منه ما يشاء ويلفظ غيره.. إن الجماهير هي مادة الثورة في عمومها وهدفها النهائي ومبرر مشروعية وجودها واستمرارها.. وهذا يلقي بداهة على الثوريين مسؤولية إحداث تحولات نوعية في الجماهير على كافة المستويات الاجتماعية من خلال غرس الثقة فيها وإفساح مجال المشاركة لها، واعتبارها قوة رئيسة في العمل الثوري لا يمكن إغفالها أو الاستغناء عنها.

سابعاً: نبذ النظرة التزمتية التي تتجمد عند أحكام مسبقة،

وتقف عند حدودها قاصرة عن تجاوزها. . إننا نخطئ كثيراً حين نعطي أحكاماً جزافية ومسبقة على الجماهير دون اعتماد معياري التعقل والتجرد لمصلحة الثورة. . وأحكامنا - إن كانت صحيحة في فترة ما - على الأشخاص فإن تبدل الشروط الموضوعية في مرحلة معينة يفرضان التغيير على الأشخاص وعلى أحكامنا في آن واحد.

ينبغي مراعاة مثل هذه الأمور بدقة متناهية من قبل الثوريين من خلال ممارسة الثورة وتعاملهم مع الجماهير وتحاشي زج الجماهير في مواقف أكبر من طاقاتها الذاتية - وفي ظرف معين - وبشكل يفقدها ثقتها بنفسها ويدفعها إلى عملية اليأس والتردد. . إن واجب الثورة الأول في خلق الروح الصدامية الشجاعة لدى الجماهير عموماً، ذلك يفتح ويهيئ الفرصة المناسبة أمامها لممارسة النضال وخوض المعارك المتكافئة مع قدراتها لتعميق ارتباطها بالثورة، ولتأكيد إحساسها الدائم بضرورة التحرك لمواجهة أعدائها مهما كان الثمن.

إن هذه الميزة التي تشكل السمة الأساسية في الثورة، ينبغي أن يفهمها الثوريون فهماً صحيحاً ويعملون بكل

جدية على تأكيدها واستخدامها دائماً لتصعيد الروح النضالية والمعنوية للجماهير. . وبالتالي، فإن الحسابات الدقيقة لمعطيات الواقع على مختلف المستويات، هي شرط علمي في تنامي الخط الجماهيري الثوري وتجنيبه مخاطر الانتكاسات والارتجاجات المفاجئة التي تحدث نتيجة سوء التقدير. . إن الجماهير حين تحقق انتصاراً كبيراً تضيف إلى معنوياتها رصيداً هائلاً بالتأكيد، إلا أنها ـ وبالضرورة ـ عندما تفقد هذا الرصيد، ربما تهبط إلى مستوى مفجع حين تتعرض لصدمة لم تكن تتصورها، وعلى هذا الأساس فإن واجب الثورة في سياق التعامل مع الجماهير أن تشدها بأسلوب لغة الفهم إلى التحرك بقوة باتجاه خوض المعارك المستقبلية مع تشخيص علمي كامل لأعداء الثورة ذاتها.

الاستجابة والإقدام

إن أي عمل ثوري مهما كان نوعه وحجمه لا يمكن أن يحدث على الإطلاق ما لم يكن مقروناً أساساً بالاستجابة والإقدام على ممارسة الثورة بمفهومها الصحيح، فتلك مسألة أساسية وجوهرية وضرورية في الانتماء للثورة وبدونها لا يمكن أن يحصل الانتماء الحقيقي بل، بدونها يفقد العمل الثوري قيمته الأساسية ولا يحقق أبداً ما يهدف إليه مهما حاول أن يفعل ذلك.

إن الحديث عن عملية الاستجابة والإقدام في إطار الانتماء الثوري مسألة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها بأي حال من الأحوال بل، تصبح هذه العملية تشكل المعيار الوحيد الذي يتحدد على أساسه العمل الثوري المبدع والخلاق، وبدون توافر هذه العملية الجريئة الشجاعة في المسلك الثوري سيفقد الثوريون أنفسهم وقدرتهم وفاعليتهم في إحداث عمليات التغيير الجذري

والتحول الثوري على كافة المستويات.

فالاستجابة والإقدام تأتي في مقدمة كل المشاعر والأحاسيس الثورية العظيمة والتي على ضوئها يحدد الثوريون موقفهم بكل وضوح خيال كافة مواقع الفساد والإفساد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المتخلف بالواقع، وهي تعني بالضرورة الاستعداد العقلي والنفسي والشخصي الدائم لدى الثوريين الذين آمنوا بالثورة قولاً وعملاً، والانتفاض في الوقت المناسب على تلك المواقع الفاسدة ونسفها من جذورها مهما يكن الثمن، وإحلال محلها مواقع جديدة عادلة تمكن الجماهير من ممارسة حقها الطبيعي في السلطة وتحكم نفسها بنفسها، وهذا العمل العظيم لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن العمل الثوري دائماً ينطلق أساساً من الاستجابة والإقدام.

ومن هذا المنطلق فعلى الرغم من أن عملية الاستجابة والإقدام عملية ضرورية ومهمة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بممارسة الثورة إلا أنها من الناحية العملية ليس بالإمكان توافرها بشكل فعال في عامة الثوريين بل، لا يستطيع القيام بها إلا أكثر العناصر الثورية فاعلية بحكم ما لديهم من سعة الأفق الإيديولوجي اليسير دون غيرهم، وبالتالي يستطيعون

امتلاك زمام المبادرة الشخصية والانقضاض على القوى المعادية للثورة والجماهير معاً وفي أي وقت كان.

وعلى هذا الأساس فالاستجابة والإقدام ليست مثلما قد يتصورها البعض على أنها من ضمن القضايا الثورية التفسيرية البحتة بل هي على العكس من ذلك تماماً، وعلى أساسها تكون ممارسة الثورة عملياً.. وهي التي من خلالها يستطيع المنتمون ثورياً الجلوس حول برنامج العمل الثوري بشكل عام دون أية مزاحمة أو أية معارضة بل، بالإقناع التام وبسعادة غامرة.. باعتبارهم أكثر العناصر الثورية فاعلية في الانتماء الثوري.. وهم الأكثر علماً والأوسع ثقافة.. والأقدر حركة.. والأسرع استجابة.. والأسبق فعلاً.. والأجرأ ممارسة.. والأشجع نفساً. والأقوم خلقاً.

من خلال هذه الصفات الثورية العظيمة تستطيع تلك العناصر الثورية بالتأكيد أن تكون أول المبادرين إلى كل عمل وأول المحرضين عليه بدون أدنى شك في ذلك، وبفضل ما لديهم من صفات العلم والثقافة الواسعة التي تجعلها قادرة على اكتشاف العلاقات الظالمة والفاسدة في الواقع، والعمل بجدية على تحريض الجماهير صاحبة

المصلحة الحقيقية في الثورة على تغيرها تغييراً جذرياً بما يمكنها من امتلاك مقدراتها المادية والمعنوية بنفسها، وتضعها أمام تحمل مسؤولياتها التاريخية والحضارية الجديدة دون التعويل أو الاعتماد على الآخرين.

إن انتصار ثورة الجماهير الشعبية ضد المتحكمين فيها والمستغلين لها، وتدميرها لنظام الحكم التقليدي المتحكم بذلك في إرادتها، كل ذلك يتوقف - بالضرورة - على مدى الاستجابة والإقدام عند الثوريين الذين يشكلون العصب المحرك للجماهير كي يقوموا بتحريضها وتنظيمها بشكل عملي في المؤتمرات الشعبية واللجان في كل مكان سواء بالصورة العلنية أو بالصورة السرية، وإعلان حالة الزحف المقدس نحو تدمير أوتاد السلطة الاستبدادية المتحكمة في تلك الجماهير كي تقام سلطة عصر الجماهير في كل مكان وزمان.

فحين تنتصر الجماهير بأسلوب الثورة الشعبية، الثورة التي تحرض عليها اللجان الثورية صاحبة الانتماء الحقيقي للثورة والجماهير معاً، تجد من حقها ومن واجبها أن تدمر كل القديم المتخلف لتراكماته وثقافاته البالية المضادة أساساً لسلطة الجماهير.. ولكنها لا تجد ذلك العمل سهلاً

ميسراً، بل إنها بالتأكيد ستحتاج لمن يدفع بها لمواصلة زحفها الشعبي المشروع وتحمل كافة المسؤوليات الجسيمة والعظيمة في نفس الوقت، والمترتبة بالضرورة على نجاح الجماهير في عملية الاستيلاء على السلطة وممارستها بنفسها هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لكي تقطع خط الرجعة نهائياً على الطامعين فيها بأي شكل من الأشكال ولهذا السبب تظل دوماً عملية الاستجابة والإقدام بالنسبة للثورة هي عنصر المفاجأة من أجل إحراز النصر النهائي على القوى المعادية للجماهير.

ومن هنا تصبح مسألة القدرة والاستيعاب في ممارسة الثورة هي العملية المهمة والضرورية التي من خلالها يكتسب الثوريون عملياً مسألة الاستجابة والإقدام في سبيل تحقيق كل المهام الثورية بدون أي تردد أو أي تخوف من ذلك، ومهما كانت خطورة الصعوبات التي قد تواجههم في الواقع، فإنهم سيقومون بكل تأكيد بتجاوز تلك الصعوبات بفضل هذه العملية الجريئة من أجل تنفيذ مستهدفات العمل الثوري المبدع الخلاق وصولاً، لما تطمح فيه الثورة في إطار إنجاز مهمتها الثورية والتاريخية العظيمة والإنسانية في الوقت ذاته.

إن المنتمين ثورياً مطلوب منهم باستمرار أن يكونوا على درجة كبيرة من عملية الاستجابة والإقدام في ممارسة الثورة بالواقع لكي يستطيعوا اكتشاف كافة الأوضاع الحياتية بالمجتمع بل، لأجل إحداث التغيير الجذري في تلك الأوضاع التي قد تكون فاسدة، وخلق أوضاع جديدة عادلة تحقق المساواة الاجتماعية بين بني الإنسان عامة فالاستجابة والإقدام بالنسبة للثوريين هي المعيار الوحيد الذي يتوقف عليه مدى فاعليتهم في العمل الثوري المطلوب نحو تحقيق المستهدفات الثورية المرسومة وفقاً للاستراتيجية الثورية ذاتها.

وعلى هذا الأساس فالتغيير الجذري لا يمكن أن يتحقق في الواقع ما لم تتوفر عملية الاستجابة والإقدام عند الثوار.. إن القديم المستهدف بهذا التغيير لا يتم بكل يسر وسهولة مثلما قد يتصوره البعض، وبالتالي فهذه العملية ضرورية وتفرض نفسها، وهي السمة الثورية الناجحة في ممارسة العمل الثوري بالشكل الصحيح وعلى كل المستويات بل، ليس هذا فحسب وإنما، تظل هي السمة الثورية العظيمة التي يتم من خلالها فرز الثوريين من حيث القدرة والعطاء عن بعضهم بعض ويتفاوتون بها جملة

وتفصيلاً، وهذه السمة مرجحة في أغلب الأحوال إلى عامل القدرة والاستيعاب الذي يتم الحصول عليهما عن طريق الممارسة الحقيقية للثورة ودراسة نظريتها الدراسة الواعية والمتعمقة باستمرار.

فالاستجابة والإقدام هي المحرك للعمل الثوري نحو تحقيق الأهداف والخطط الثورية المرسومة، وصولاً إلى الغاية المنشودة وهي تحرير الجماهير من كافة القيود والضغوط المكبلة إلى إرادتها، وبدونها حتماً يفقد العمل الثوري سمته الحقيقية ولا يستطيع بلوغ ما يسعى إليه مهما كان الجهد المبذول، وبالتالي، ينبغي على الثوريين فهم هذه المسألة جيداً لكي يعوا طبيعة المهام الثورية المناطة بهم وعياً صادقاً ومسؤولاً، إن العلاقات الفاسدة في الواقع هي بمثابة القضايا الأساسية التي بموجبها تصبح عملية الاستجابة والإقدام عند الثوريين هي المحرك النشط والسريع الذي يدفع بكل الطاقات الشعبية نحو عملية اجتثاث تلك العلاقات يومياً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى.. من خلال ذلك تتضح قدرة العناصر الثورية أكثر فاعلية في الحسم لصالح الثورة والجماهير معاً، وبالإمكان تمييزها عن غيرها، وبالتالي، تكون حقاً أكثر استجابة

وإقداماً على عمل ثوري مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك.

إذن عملية الاستجابة والإقدام بالنسبة للثورة عملية ضرورية ومهمة حقاً وعلى أساسها يتوقف الجسم الثوري وبدونها لن يتم ذلك، ولهذا فإن مسألة الانضمام إلى الثورة من خلال تسجيل الأسماء في سجلات معدة لذلك سلفاً ليست هي المعيار في الانتماء الثوري بل، تظل الاستجابة والإقدام بقصد الإيمان بالثورة أولاً، وثانياً ممارستها بشكل دائم ودون توقف أو انتظار لأوامر تصدر من أي جهة كانت، وهي المعيار الحقيقي الذي يجب أن يتوافر لدى كل ثوري وبدونها يفقد الثوري هويته في الانتماء للثورة ذاتها.

وهكذا فالاستجابة والإقدام هما أساس كل عمل ثوري مبدع وخلاق، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها بأي شكل من الأشكال بل، بدونهما لا يمكن أن تستمر الثورة في تأدية مهمتها الثورية الإنسانية التي انطلقت من أجلها أصلاً وتسعى إلى تحقيقها، من هنا تتأكد مسألة طبيعية ونفسية وشخصية ولا تأتي بقرار معين من أي جهة مهما كانت دائمة، وهي ظاهرة صحية تتكون عند الثوار من خلال المعاناة الصادقة والملتزمة بالممارسة الحقيقية للثورة ذاتها.

المبحث السادس

من هم
المدافعون عن الثورة؟

حين يطرح هذا السؤال ينبغي لكي نكون إيجابيين وتكون إجابتنا دقيقة ومحددة وبمنأى عن التورط والانزلاق في مهاوي الزلل والانفعال أن نعرف ماهية الثورة، معالمها، أبعادها والحدود التي تميزها عن غيرها من أشكال التغيير، وتضعها بعيدة عن الالتباس وبمعزل عن حركات التطور أو الإصلاح، وفق هذا الشرط يمكننا أن نشخص، بسهولة ودقة، حلفاء الثورة الطبيعيين وأصحاب المصلحة في تحقيقها، وبنفس السهولة التي نميز بها أعداءها التقليديين ونكشف مواقعهم التي يقفون فيها.

وإذا كان من العسير إيجاد صيغة محدودة ومتفق عليها من المناهج الشمولية فإن تيسير البحث يقتضينا طرح صيغة عريضة تحمل ملامح الثورة وركائزها الأساسية كما تلتقي عندها معظم الصيغ الأخرى، فالثورة تغيير جذري للمرتكزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية

المتخلفة، وتبديل للقيم والعلاقات في مجتمع ما لصالح الجماهير الكادحة والمظلومة والمستغلة، فهي أسلوب علمي يتناول جوهر الأشياء لا ظواهرها وهي بالتأكيد رفض لكل التسويات والحلول الآنية التي لا تنفذ إلى صميم المشاكل وإنما تقف عند حدودها الخارجية فلا تتجاوزها أو تسترها مؤقتاً لتنفجر بعد حين وهي أكثر خطورة وتعقيداً.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول: «إن الثورة هدم لكل المرتكزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية البالية في مجتمع يتحكم فيه عدد من الأفراد أو الأقلية بمقدرات الجماهير بأسرها، وإبدال تلك الركائز والقيم والعلاقات بأخرى جديدة تمكن الجماهير من تقرير مصيرها بنفسها وتعطيها الفرصة الكافية للإفصاح عن ذاتها بعيداً عن أي شكل من أشكال التسلط والاضطهاد وتفسح لها المجال رحباً لتفتح مواهبها وتفجر قدراتها الكامنة، فالإنسان إذن علة الثورة كما هو وسيلتها وهدفها النهائي.

وإذا كانت الثورة لا تشترط مقداراً معيناً من الدماء، أو تتطلب ممارسة الحد الأدنى من العنف وفقاً لشروطه ومحاذيره، فهي لا تستغني مطلقاً عن الوقوف بجزم في وجه كل الأعداء الذين ينقضون عليها لتصفيتها أو حرفها

دفاعاً عن رَكائزهم المهددة. . وهي ـ أي الثورة ـ ملزمة بتعرية أولئك الخصوم وإسقاط كافة الأقنعة التي يتسترون خلفها، وسحقهم متى كان ذلك ضرورياً ومحتماً. إن الشرط الأساسي في تحقيق الثورة واستمرارها هو وجود أداة ثورية ومسؤولة التي تحدد نهجها السليم مختطة أسلوباً متطوراً وأصيلاً في معالجة السدود التي تقام في طريقها، ومعتمدة على التحليل العلمي المرتكز إلى الفكر الواضح والواقع في تحديد مراحل الثورة في ظروف الانتقال، وتسليط الأضواء على تلك الظروف وتشابكاتها عبر مسيرتها الثورية الرائدة ومن خلال المعاناة، كاشفة بذلك كل مواقع الخصوم ومسددة إليها الضربات المتلاحقة وفي الوقت المناسب.

إن وجود أداة ثورية شرط أساسي ومهم لاستمرار الثورة وخاصة عندما تكون تلك الأداة هي من إفرازات الجماهير الطبيعية ومن خلال انحيازها إليها بالكامل فآمنت بها، وهي دائماً ملتصقة بقضاياها ومحرضة عليها ومعبرة عن أمانيها، وحين أثبتت الممارسة بشكل قاطع جدارتها وفاعليتها وأكدت أصالتها ونقاءها دفعتها تلك الجماهير إلى أن تصل لكل ما تصبوا إليه.

وحين تصنع الجماهير أداة ثورتها تبقى وحدها صاحبة الحق في تطوير الثورة وتوجهها منطلقة من النقد المخلص والبناء، وهي دون شك أحرص من غيرها عليها وأجدر كل الفئات الاجتماعية بالتمسك بها والاستماته في سبيل تصعيدها دوماً: وبعد هذا العرض يمكننا أن نشير بيسر واطمئنان إلى حلفاء الثورة وأصحاب المصلحة في تحقيقها، وإلى خصومها على حد سواء.. فخصوم الثورة دائماً خليط غير متجانس من المصلحيين الذين يلتفون في حلف غير مقدس حول هدف واحد هو رفض إرادة التغيير، ويتفاوتون شراسة وجدية وأسلوباً في مقاومة الثورة مهما تباينت وجوههم وتعددت فصائلهم. يمكن درجهم تحت قائمة الاستعمار وركائزه من العملاء والإقطاعيين والرأسماليين والرجعيين الذين يرفضون كل جديد لأنهم في موقع النقيض لكل تطور بل لحركة التاريخ ذاتها، أما المدافعون عن الثورة وأصحاب المصلحة فيها فإن المعاناة من خلال النضال المستمر والكفاح المشروع والمقدس هي التي فرزتهم وشذبتهم، ولهيب الثورة هو أصل انتمائهم الثوري بعد أن أحرق في آتونه كل الشوائب والنفايات.. إن الجماهير على امتداد الساحة النضالية بالعالم، وعلى

أرضيته الصلبة بالجماهيرية العظمى أثبتت بدون شك أن الثورة بمحتواها الاجتماعي الجماهيري التقدمي وأبعادها الإنسانية، هي رفض لكل مظاهر التخلف والعبودية والاستغلال والتجزئة وتجسيداً لأسمى مطامح الذات.. تلك الثورة حمل أعباءها كل الثوريين الحقيقيين الذين انضموا إلى حركة اللجان الثورية أداة الثورة الشعبية ثورة الغد، ومن هذه القاعدة الصلبة ومن خلال التفاعل الفذ انطلقت ثورة الفاتح العظيمة، لتبني صرح الحضارة الإنسانية الجديدة، الخالية من التعسف والقهر والاستغلال. تلك هي الثورة العظيمة في معناها وفي مدلولها الجديد، وإذا كنا نحن أعضاء اللجان الثورية الذين يتمتعون بالولاء الحقيقي من حيث الانتماء للثورة والمبشرين بعصر الجماهير ورسل تلك الحضارة الإنسانية الجديدة.. وبالتالي ومن باب أولى نحن حقاً المدافعون عن الثورة وأصحاب المصلحة فيها، وإذا كنا أداتها وهدفها ولنا شرف الانتساب إليها والإسهام في الإعداد لها ودفعها إلى مواقع متقدمة يومياً فإن كل ذلك يلقي علينا بالضرورة مهام ثورية عظيمة ويحملنا مسؤولية الدعاية لها والحفاظ عليها ووضعها في إطارها الثوري والتاريخي الصحيح.

إن مسؤوليتنا جسيمة وبالغة الخطورة، ونحن جديرون بتحملها وعلينا أن نتقدم دون تردد أو إبطاء، وأن نقدم كل شيء دون انتظار أدنى ثمن ذلك لأن الثورة التي ننتمي إليها هي نهاية المطاف لكل الحركات التي تدعي الثورية زوراً وبهتاناً وهي في واقع الأمر حركات انقلابية تأتي جملة وتفصيلاً في إطار الصراع المدمر على السلطة، وهذا بطبيعة الحال ليس تحاملاً أو تجنياً على تلك الحركات المفلسة التي خسرت علاقتها بالثورة والجماهير والتاريخ معاً، وإنما هذه هي الحقيقة التاريخية بعينها لذى سجل التاريخ الإنساني عن تلك الحركات السلطوية هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن ذلك حقاً يجعلنا بكل فخر واعتزاز نحن أعضاء اللجان الثورية دعاة الوحدة القومية والدينية اليوم أكثر من أي وقت مضى أمام تحمل أعباء تلك المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقنا وجهاً لوجه.. ونجاحنا يعني بالضرورة دفع الجماهير في كافة أنحاء العالم لكي تستلم السلطة بنفسها مهما يكن الثمن والنتائج المترتبة على ذلك.

إن التجارب المضنية والمحن الرهيبة والمتلاحقة التي تعرضت لها الثورة في مواجهة أعدائها على كافة

المستويات عبر نضالها المرير توجب علينا اليقظة الكاملة، وتحتم علينا أن نعي دورنا الحقيقي وتدفعنا بإلحاح إلى المبادرة التي تقطع الطريق على المتصيدين والمشبوهين والمنتفعين على حساب قضايا المصير، وبذلك نحافظ على ثورتنا ونضعها في إطارها التاريخي التقدمي الصحيح.. وحتى تكون بحق ثورة الجماهير العريضة في كل مكان وزمان في العالم.

إن المدافعين عن الثورة والذين يعتبرون حلفائها الطبيعيين وأصحاب المصلحة فيها وفي استمرارها تقع عليهم دائماً تحمل كل المهام الثورية والتاريخية العظيمة، الملقاة أساساً على عاتق الثورة نفسها في القيام بمهمتها الإنسانية من أجل تحرير كافة الشعوب من جميع القيود التي تكبل حريتها وتعيقها من الوصول إلى ممارسة السلطة بنفسها دون أي نيابة أو وصاية من أحد، وهو العمل الثوري العظيم، ينبغي بذل أقصى جهد في سبيله دون أي ملل ولا كلل في ذلك، لكي تستمر الثورة دوماً في تقدم نحو تحقيق المزيد من المهام الثورية من أجل انتصار عصر الجماهير لكي تتعزز الحرية، ذلك هو مبتغى حركة اللجان الثورية الحليف الطبيعي للجماهير.

إن الدفاع عن الثورة يعني الدفاع عن الحرية التي لا تتجزأ وبالتالي، تظل مسألة المحافظة عليها أصعب من نيلها ومن هنا تصبح كل الجهود المبذولة في إطار ممارسة الثورة بمفهومها الصحيح هي الضمان الوحيدة للمحافظة عليها ونجاحها في أداء مهمتها المناطة بها على الوجه الأكمل هذا من ناحية، ومن ناحية.. تستطيع الثورة أن تستمر مهما كانت العوائق التي قد تعتري طريقها.. ولذلك فإن مهمة الدفاع عن الثورة مسألة واجبة وضرورة إنسانية ينبغي فهمها فهماً ثورياً سليماً من خلال الممارسة الحقيقية للثورة ذاتها، وهذا العمل العظيم لن يتأتى إلا من خلال القدرة على الاستيعاب وفهم طبيعة التناقض القائم في صيرورة الصراع بين الثورة وأعدائها على كافة المستويات ومن هنا يظل دور المدافعين عن الثورة هو الدور الثوري والتاريخي العظيم الذي من خلاله تستمر الثورة باتجاه تحقيق المبادىء والقيم الإنسانية التي تنطلق فيها وتناضل في سبيلها، لذلك ينبغي عليهم أن يكونوا دوماً وجهاً لوجه ـ في الواقع ـ أمام تحديات القوى المعادية والتصدي لها بكل قوة من أجل إحراز الانتصار النهائي لكي تتعزز حرية الجماهير فوق الأرض وتحت الشمس ولتعيش الشعوب في مأمن وسلام.

إن ذلك الانتصار العظيم لن يتحقق بسهولة مثلما قد يتصوره البعض من الوهلة الأولى وإنما يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد والعطاء المستمر والمفيد من خلال ممارسة الثورة بمفهومها الصحيح ودون أي توقف، وهذا ما ينبغي عمله من قبل المدافعين عنها والمنتمين إليها في إطار حركة اللجان الثورية وتصعيد العمل الثوري المبدع والخلاق وتحريض الجماهير على ممارسة دورها الطبيعي في تحمل أعباء المسؤولية التاريخية والحضارية الجديدة الملقاة على عاتقها دون سواها والقضاء نهائياً على كافة مظاهر التخلف والعبودية والاستغلال وتصعيد المواجهة الفعلية مع كل الرموز والطلاسم الهلامية والمعادية بحكم ثقافتها البالية لعصر الجماهير. تلك هي المهمة الثورية العظيمة التي يجب العمل من خلالها والتأكيد عليها مهما يكن الثمن المترتب على ذلك.

المثقف والمستقبل

على ما يبدو أن للثقافة والمثقفين مكانة خاصة في المجتمعات الفقيرة النامية، والجهل يرسم صورة مضخمة للعلم والمعلمين.. ويعطي المثقف مركزاً متميزاً ويتوقع منه المستحيل.. وفي تصور هذه المجتمعات يختلط المثقف بالمتعلم، ويصبح كل من حصل على قسط من العلم، في نظرها، مثقفاً.

الواقع أن المثقف ليس من أحسن القراءة والكتابة أو من حصل على شهادة علمية (هناك أميون بين حملة شهادة الدكتوراة)، بل إن ما يميز المثقف، في أي مجتمع، صفتان أساسيتان:

الوعي الاجتماعي الذي يمكن الفرد من رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة.. وتحليل هذه القضايا على مستوى نظري متماسك.. فالدور الاجتماعي هو الذي

يمكن وعيه من قبل الباحث الاجتماعي، وأن يلعبه، بالإضافة إلى القدرات الخاصة التي يضيفها عليه اختصاصه المهني أو كفاءته الفكرية.

وعليه فمجرد العلم حتى لو كان جامعياً، لا يضفي على الفرد صفة المثقف بصورة آلية، فالعلم ما هو إلا اكتساب موضوعي، ولا يشكل ثقافة في حد ذاته، إنه يصبح ثقافة بالمعنى الشامل إذا توافر لدى المتعلم الوعي الاجتماعي، ذلك العامل الذاتي الذي من خلاله فقط يصبح الفرد مثقفاً، حتى ولو لم يعرف القراءة والكتابة، ومن دونه يبقى أمياً، حتى ولو كان طبيباً وأستاذاً جامعياً.

فئات المثقفين

هناك أربع فئات من المثقفين: **الفئة الأولى تتألف** من المثقفين الملتزمين، أي أولئك الذين يتطابق عندهم الفكر بالممارسة بحيث لا يمكن التفريق بين حياتهم الخاصة وحياتهم العامة، هؤلاء يقدمون حياتهم إلى قضية أو إلى هدف اجتماعي فيصبح مصيرهم ومصير قضيتهم مصيراً واحداً، إن هذا أعلى أنواع الالتزام، فالوعي هنا ممارسة كاملة والممارسة هنا وعي كامل وباستمرار، هذه الفئة من

المثقفين في مجتمعنا، وفي كل مجتمع تمثل الأقلية الضئيلة بين المثقفين، إلا أنها تعتبر الخلايا النشطة والمحركة لوسط الثقافة بشكل عام.

وتظل في بعض الأحيان مسؤولة ثقافياً عن التغييرات الأساسية التي تحدث في المجتمع من حين إلى آخر بحكم حركة التطور فيه، وتشكل أداة انتقاله من مستوى إلى مستوى أعلى. ومن الناحية الاجتماعية.. فإن الذين ينتمون إلى هذه الفئة مثقفون ينبثقون من خلفيات وطبقات اجتماعية مختلفة، ولا يجمعهم اختصاص أو مهنة معينة، بل وعي واحد وممارسة واحدة، فتجد الطبيب إلى جانب الطالب والأستاذ إلى جانب العامل الفلاح، وهكذا تستمر العلاقة بينهما جنباً إلى جنب.

أما فيما يتعلق بالفئة الثانية من المثقفين في هذا المجال فهي تتألف من «أهل القلم» من الأدباء والكتاب والمفكرين العاملين اجتماعياً بالكلمة لا بالممارسة المباشرة، ويعتمد دور هذه الفئة في عملية التغيير الاجتماعي على تأثيرها في الرأي العام وقدرتها على تغيير الوعي الاجتماعي عن طريقه ودفعه نحو آفاق جديدة.. وهذا التأثير لا يظهر إلا في المدى الطويل، إذ إن «العمل الفكري» لا يشكل عملاً إلا

عندما يصبح قوة مادية تفعل في المجتمع وتغيره مادياً، وهذا يأخذ وقتاً وجهداً طويلاً، ومن الواضح أن التزام هذه الفئة من المثقفين هو التزام معنوي، فممارستهم ممارسة فكرية، ولا تفرض عليهم نمط حياة معينة.

الفئة الثالثة من هؤلاء المثقفين، فهي تتألف من العاملين في حقل «التثقيف» و «التعليم» من الأساتذة والمعلمين، وتأثيرهم في العمل الاجتماعي بالمجتمع هو نتيجة عملية التعليم المباشر التي يمارسونها.. وهو كتأثير الفئة الثانية، طويل المدى يرتبط بحياة الجيل الصاعد، والتزام هذه الفئة من الأساتذة والمعلمين، التزام فكري معنوي، فهم كالكتاب والأدباء يمارسون العمل الاجتماعي بحكم طبيعة المهنة أو التخصص وليس بحكم الثقافة، ودون الانخراط المباشر في صراعات وتفاعلات حركة المجتمع والجماهير معاً، وعلى رغم ذلك.. فإن الأساتذة والمعلمين يلعبون دوراً مهماً في تكوين القوى الفاعلة وتحريكها.

والفئة الرابعة وهي تتكون من «المهنيين»، أي من الأخصائيين»، والتكنوقراط العاملين في الحقول العلمية والصناعية والإدارية المختلفة، وهذه الفئة من المثقفين تشكل (في كل المجتمعات) الفئة الأكثر بعداً عن الوعي

«الإيديولوجي» والسياسي، وتأثيرها في المجتمع ينبع من ممارستها المهنية ونتائج عملها في مجال اختصاصها، والتزام هذه الفئة التزام مهني محض، لا يتجاوزه إلا في حالات استثنائية، وتأثير هذه الفئة في التغيير على المدى الطويل جذري وعميق، ذلك لأن التغيير المنبثق من العلم والتكنولوجيا يؤدي إلى تحول جذري في بنيان المجتمع المادي وفي علاقاته الاجتماعية، ولعل الفئتين الأكثر تأثيراً في طور حركة المجتمع هما الفئتان الأكثر تناقضاً: **الفئة الأولى**، المتميزة بالتزامها الإيديولوجي وممارستها السياسية **والفئة الرابعة** المتميزة ببعدها عن الإيديولوجيا وعن الممارسة السياسية وبالتزامها المهني.

دور المثقفين.

في مستهل هذا القرن، كان المثقفون في مجتمعنا العربي المعاصر يشكلون نخبة صغيرة واضحة المعالم والأهداف لا يتجاوز عددها 1% من مجموع السكان.. وأصبحت هذه النخبة اليوم، بفضل انتشار الثقافة والتعليم.. فئة واسعة تعد بالآلاف إن لم نقل بالملايين، لكن ارتفاع عدد المثقفين في المجتمع لم يغير كثيراً من دورهم الاجتماعي في طور المشاركة الإيجابية في حركة

المجتمع نحو الغايات والأهداف الذي ينشدها، وإن أدى ذلك إلى تغيير تركيبهم الاجتماعي وتطلعاتهم السياسية و «الإيديولوجية»، وهم اليوم ينتمون في الغالب إلى الطبقات المتوسطة والقصيرة.. بعدما كان بعضهم ينحدر من العائلات الكبيرة في المدن.

لقد استطاع المثقفون في مطلع هذا القرن، أن يلعبوا دوراً أكثر فعالية في المجتمع من الدور الذي يلعبه المثقفون اليوم! ويعود ذلك إلى عوامل تاريخية اجتماعية.. ففي تلك الفترة الانتقالية، كان المثقفون أقرب إلى مراكز الفكر والسلطة السياسية وأكبر ثقلاً منهم اليوم في عملية المشاركة والمساهمة الفعالة في صنع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الذي يهدف إليها المجتمع، وكان المجتمع في تلك الفترة الانتقالية في أول يقظته، وفي حالة تفتح ونمو وأكثر حساسية وتقبلاً لدور المثقفين فيه.

مزايا المثقفين.

يقرر مدى فاعلية المثقف في المجتمع عوامل مختلفة ومتعددة ومتباينة مع بعضها البعض، منها ما هو

ـ موضوعي ـ ومنها ما هو متعلق بالنظام السياسي القائم، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة والمهيمنة والوعي الاجتماعي الراهن، ومنها ـ الذاتي ـ الوضع الشخصي، ومستوى الوعي الذاتي، طبيعة الثقافة والتخصص العلمي.

فعلى الصعيد الموضوعي، نرى المجتمعات المتخلفة عاجزة عن أن توفر للمثقف المركز أو القيمة «اللائقة به»، مثل عجزها عن استغلال مواردها المادية والبشرية بشكل سليم، والنظام الذي يغلق الأبواب في وجه مثقفيه يدفعهم إلى التناقض معه، فيجد المثقف نفسه أمام أمرين، فهو إما أن يكيف نفسه مع متطلبات الوضع القائم، فيقبل بالعمل المتوافر وإن لم يكن لائقاً، ويفرض على نفسه رقابة فكرية ويحد من قوله وعمله، أو أنه يرفض الوضع القائم فيعمل ضده أو يهجره.

والمؤثر الأقوى في سلوك المثقف ليس أفكاره أو أهدافه أو مثله، بل وضعه المادي ومركزه الاجتماعي، وعندما يتخطى المثقف مرحلة الشباب ويصبح ذا مسؤوليات عائلية، يجد نفسه سجين صراع عيشه اليومي وبعيداً عن مواضع أفكاره وأهدافه ومثله.

وعلى هذا الأساس فالمثقف في مجتمعنا المعاصر غالباً

ما ينتمي إلى مستوى اجتماعي متوسط أو بالأحرى إلى عائلة متوسطة ميسورة الحال، ويحمل في تركيب شخصيته، قيم هاتين الصفتين ودوافعهما. . فتراه في حاجة إلى أكثر من مجرد «العيش». ويتطلب مستوى «لائقاً» به وبعائلته. . لكنه على صعيد النية صادق في نيته! فهو يرمي ويهدف إلى أن يعيش حياته بحسب مبادئه، وأن يطابق حياته على أفكاره، وأن يعلو عن انتمائه العائلي، ولكنه قلما ينجح. . كما ازدادت حاجاته المادية، تحول ارتباطه الإيديولوجي إلى ارتباط لفظي وازداد ارتباطه الفعلي بالوضع القائم ورضوخه له.

فتلك هي الحقيقة الناصعة والتي تكشف الوضع برمته الذي يعيشه المثقفون في كافة المجتمعات البشرية المعاصرة وخاصة منها مجتمعات العالم الثالث «العالم النامي». . إن المثقف نادراً ما يهجر بلده بسبب الكبت الفكري الذي قد يتعرض إليه شأنه في ذلك شأن أي إنسان آخر. . إنه لا يفعل هذا إلا إذا رافق الكبت الفكري كبت مادي فأغلقت الأبواب في وجهه، فهو قد يسكت برهة من الوقت الطويل عن الكبت الفكري، لكنه لا يستطيع أن يتحمل الحرمان المادي مهما يكن الأمر، بل إنه قد يضطر

إلى اتخاذ موقف حازم حيال ذلك الحرمان ولو ترتب عليه فيما بعد أن يهجر بلده الذي ولد بها وعاش فيها. وذلك له تأثير قوة نزعة التذبذب الفكري التي تفعل فعلها في السيطرة على عقول أغلب هؤلاء وأولئك المثقفين المعاصرين في عالم اليوم.

التذبذب الفكري

من صفات المثقف الأساسية على المستوى الذهني غالباً ما تكون لديه نزعة معينة تظل باستمرار هي المسيطرة على تحريكه وتوجيهه، وهي لدى الكثيرين من المثقفين تعرف بنزعة التذبذب الفكري. فالمثقف عرضة أكثر من غيره «لتغيير رأيه» عندما يكون يعاني أزمة من الحرمان المادي، والتذبذب الفكري هو عدم القدرة على الثبات في موقع فكري معين والتبعثر بين منطلقات واتجاهات فكرية مختلفة ومتضاربة مع بعضها البعض.

إن نزعة التذبذب الفكري تنبع من حالة الاقتلاع التي يعانيها المثقف، وهي لا تعكس فقط وضعاً نفسانياً قلقاً، بل أيضاً وضعاً اجتماعياً مهدداً دائماً، مما يترتب على ذلك الدخول في نزعة أخرى وهي تعرف بالنزعة «الانتهازية»، إن هذا الوضع القلق والمهدد كثيراً ما يدفع بالمثقف إلى السبيل الانتهازي، فهو لكي يحمي نفسه من مخاطر

وأضرار الحرمان المادي من الهجرة من السجن.. يضطر أحياناً إلى المساومة وفي مجتمعنا العربي المعاصر أصبح هناك اعتقاد سائد عند المثقفين عامة أنه لا يوجد أي أمان للمثقف ولا مستقبل له إلا إذا ساير وساوم، ففي مجتمع مثل مجتمعنا العربي «رأي عام» يلجأ إليه إذا قرر أن يتمسك بموقفه وأن يقول كلمة صريحة ومن دون خوف.

وهو إذا رفض المساومة، فليس أمامه إلا الصمت أن يقبل بالنفي الفكري أو الثورة «أن يلجأ إلى العنف».

وبما أن معظم المثقفين لا يقدرون العنف وبما أنهم يريدون التمتع بالحياة لا التضحية بها، فهم غالباً يختارون طريق المساومة أو المسايرة ويرفضون طريق الثورة أو العنف. وذلك بسبب وجود نزعة تبريرية لديهم لأجل التغطية على مواقفهم هذه، ومن هنا يشعر المثقف في مجتمعنا العربي المعاصر بأنه آخر الأمر ضعيف لا حول له ولا قوة وضعفه ذاتي بمقدار ما هو موضوعي، فهو، على رغم احتقاره المال وأصحاب المراكز، يشعر في قرارة نفسه في بعض الأحيان بالمهابة والخوف تجاه الأغنياء وذوي الجاه والسلطان، ويحاول أن يكسب رضاهم وأن يصادقهم.

ولذا كان على درجة عالية من الوعي، فإن تعايشه وتودده لذوي السلطة يخلقان في نفسه تناقضاً لا يجد له حلاً إلا بالتراجع عن المواقع المبدئية والأخذ بالتبريرات اللفظية. وبذلك يشارك في عملية الخلط الفكري الذي يريد النظام القائم فرضه عليه بل ليس هذا فحسب، وإنما يريد المثقف أمرين متناقضين حرية العمل والمستقبل المؤمن فهو يريد أن يعيش مبدأه وفي الوقت ذاته أن يؤمن مستقبله وأغلب المثقفين يقضون على هذا التناقض باختيار طريق المستقبل المؤمن أما المبدأ فيصبح هدفاً قوياً لوسائل المثقف التبريرية.

إن القدرة التبريرية التي يتمتع بها المثقف، تساعده على حجب حقيقة واقعه وتعطيه دوافع سلوكه، وبالتالي تنقذه من احتقار ذاته وتمكنه من تناقضه للشعور بالذنب أو تأنيب الضمير، من هنا انبثقت الظاهرة المميزة لدى العديد من المثقفين، وهي ظاهرة «التمويه» القائمة على قدرة المثقف على أن يبرر نفسه أمام الآخرين، تتيح له قول الشيء وفعل نقيضه من دون الشعور بالتضارب أو التناقض بين نمط قوله وعمله ويصبح سلوكه اللفظي بديلاً عن سلوكه الفعلي.. إن هذه القدرة التبريرية تقدم الدرع الواقية التي يحمي

المثقف بها نفسه من النقد والنقد الذاتي وتمكنه من عيشة التناقض في حياته من دون كثير ألم أو قلق.

النزعة الفوضوية

والحق أن مشكلة الحرية بالنسبة إلى المثقف الواعي، مشكلة صعبة وشائكة فإذا عادته السلطة كان عداؤها قاسياً مميتاً.. فالقانون الذي يحمي الحريات ويؤمن حق القول والمعتقد إذ وجد كان حبراً على ورق.. فالفرد، في آخر الأمر، فريسة النظام القائم ورهن إرادة السلطة المهيمنة فيه.. لكن المثقف إذا لم يتعد الحدود المفروضة يتمتع بحرية واسعة، فهو عندما يكتب أو يتكلم لا يجد من يحاسبه فالمقاييس الفكرية في مجتمعنا معدومة والنقد المسؤول لا قائمة له، في حين أن المجتمع تنقصه سلطة القانون فهو أيضاً يفتقر إلى سلطة العقل والعلم، من هنا كانت الفوضى في الفكر والهزل في إنتاج المثقفين.

إن الجو الذي يعيشه المثقف في مجتمعنا المعاصر، جو تنعدم فيه المسؤولية والمصداقية الأدبية الملتزمة بقضايا الأمة الأساسية والجوهرية وتغلب فيه المقاييس الكمية على المقاييس النوعية فإذا أنتج المثقف شيئاً ما ـ مقالة ـ دراسة محاضرة ـ كان إنتاجه هذا حصيلة «عمل» سريع.. فهدفه

إتمام الشيء في أسرع وقت ممكن وبأقل جهد ممكن، ومن هنا كان إنتاج مثقفينا في أكثر الحقول أو المجالات المعرفية نتاجاً متيسراً سطحياً لا يعبر عن قدرتهم الحقيقية، فهذه القدرة تحتاج إلى الجد والتعب والنكس بالمقاييس العليا كي تعبر تعبيراً صادقاً عن نفسها.

والجماهير التي تجابه المثقف جماهير - إن جاز القول في ذلك - نصف أمية.. إنها تبتلع كل ما يقدم لها من دون تردد أو تساؤل «والنخبة المثقفة» القادرة على النقد والتقييم، منصرفة إلى شؤونها لا يهمها إلا ما يمس مصالحها مباشرة فالمثقف ينتظر من أصدقائه الإطراء والمديح ومن أعدائه الذم والقدح.. وبهذا فإنه لا يشعر بمسؤولية ثابتة، ولا يخضع لمقاييس موضوعية ملزمة والعكس هو الواقع، فهو يشعر بأنه حر طليق من أي التزام وأن كل الأمور سواء.. وليس من المستغرب والحالة هذه أن تنخفض نوعية إنتاج مثقفينا إلى درجة الإسفاف، مما يفرض عليه سلطة «الفكر الغربي الأجنبي» الذي يبقي المحك الأخير حيث يقيم إنتاج هؤلاء وأولئك المثقفين من خلاله والتي تعجز في الواقع عن معالجة ذلك فتلك هي المأساة الخطيرة في إطار الثقافة العربية المعاصرة.

وعلى هذا الأساس يصبح الوضع بالنسبة للمثقف من حيث تنمية مواهبه، كوضع مجتمعنا بالنسبة إلى موارده، يهدرها ولا يستثمر منها إلا الجزء الصغير هذه هي الحقيقة التي نتجرع مرارتها رغم صحة مصداقيتها بالنسبة لواقعنا العربي المعاصر.

مهمة المثقفين

إن المجتمع العربي المعاصر مجتمع شاب، فهو من أصغر المجتمعات بالعالم.. فمثلاً، ستون في المائة من سكانه لا يزالون دون سن العشرين ومنذ الحرب الكونية الثانية ارتفع عدد المدارس والطلاب ارتفاعاً كبيراً وزادت نسبة المتعلمين وحملة المتوسطة والجامعية بشكل لم يشهده أي بلد من البلدان النامية.. ومن المقدر أن يستمر هذا النمو بصورة متزايدة خلال العقد أو العقدين ـ الآتين.

وكلما ارتفع عدد المتعلمين ارتفع عدد المثقفين وكبر حجم فاعليتهم في مختلف المجالات.. إن اتساع قاعدة المثقفين يضفي عليهم قوة ذاتية لم يعرفها الجيلان السابقان من المثقفين ويضفي أيضاً عليهم قدرة متزايدة على التأثير في حياة المجتمع.

ويمكننا القول أن الفئة الملتزمة من مثقفي الجيل الجديد ستكون أكبر عدداً وأوسع أثراً منها في الجيل القديم الذي مضى أو أوشك أن يمضي ويمكن التكهن أيضاً بأن الفئات الثلاثة الأخرى وهي الكتّاب والأساتذة والمهنيون ستكون أكثر استقلالاً وبالتالي أكثر تأثيراً في حياة المجتمع من الفئات المماثلة من مثقفي الجيل القديم، في حين أن مهمة الفئة الملتزمة المنخرطة في الممارسة والعمل المنظم، تشكل مهمة صراعية بمعنى أن ممارستها الثورية تضعها آلياً خارج الوضع القائم وضده، وتدفعها نحو أهداف تتجاوز الأهداف المهيمنة فيه، فإن مهمة الفئات الأخرى من المثقفين مهمة تعاونية «بمعنى أن ممارستها ولو كانت نقدية تقوم على العمل من ضمن الوضع القائم على رغم ثورية البعض منها».

اليسار واليمين

أوضحنا فيما سبق في إطار الحديث عن الانتماء الثوري على أن هناك جملة من التساؤلات التي تطرح نفسها من حين إلى آخر من خلال توارد الخواطر المتوالية في سياق عملية الشرح والتحليل، ومهما حاولنا في بعض الأحيان تجاهلها إلا أنها ظلت تفرض نفسها ضرورياً بين جملة وأخرى، ومن بينها السؤال الذي يتصدر عنوان هذا الموضوع تبعاً لتسلسل الموضوعات حسب أهميتها وعلاقتها بالانتماء الثوري. قلنا بالتحديد ستتم الإجابة عنها وفقاً للأهمية والضرورة المتعلقة بالانتماء، ولهذا السبب نحاول في هذه العجالة الإجابة عن السؤال المطروح ولو بشيء قليل نظراً لأهميته التي ليس منها مفر مهما حاولنا ذلك.

على الرغم من أن هذا السؤال ليس جديداً ولكنه لا يزال مدار بحث ونقاش ضمن الثقافة المعاصرة، ووفق كل

الاستخدامات المتداولة وخاصة في استخدام مفهوم الثورة، ومن هنا يصبح من الضروري تسليط بعض الأضواء حول هذين المفهومين المتناقضين، وكذلك المتخوفين من «اليسار» ولماذا في آن واحد.

المهم، لم تكن الثورة الفرنسية التي غيرت النظام الملكي الرجعي بنظام جمهوري أكثر تقدماً منه نسبياً، هي أولى الثورات التي عرفها العالم وسجلها التاريخ وليس آخرها، ذلك لأن رياح التغيير إذا هبت لا تعرف التوقف عند حدود معينة رسمت لها بل.. لقد هبت وتهب دائماً متى كان الظرف مناسباً والمناخ مهيأً ومحتوماً.. إلا أن الثورة الفرنسية بالتأكيد شكلت نقطة تحول هامة وخطيرة في التاريخ الحديث، وبالتالي تميزت عن الثورات التي سبقتها. وهذا يتضح من خلال ما أحدثته من تغييرات تخطت فرنسا إلى أوروبا والعالم. بما فيه شرقنا ووطننا العربي الكبير. تلك التغييرات التي جعلت حداً فاصلاً في فرنسا بين الظلام والثورة وبين التقدم والتأخر، بشكل دفع المؤرخين إلى اعتبار هذه الثورة «الباب الكبير الذي دخلت منه الإنسانية في عصرها الحديث».. والثورة الفرنسية برغم معطياتها الإيجابية الخلاقة التي شكلت منارات

ساطعة على طريق الكفاح الإنساني والذي توج في نهاية المطاف بعصر الجماهير الذي فجرته ثورة الفاتح العظيمة.

وبالرغم من ذلك كله فإن الثورة الفرنسية قد رافقها الكثير من السلبيات التي أصبحت تشكل الدرس المستفاد في علم الثورة الجديد، وعلى أية حال فإن تلك السلبيات عادت في بعض مراحل هذه الثورة إن لم نقل كلها مجرد عجرفة عسكرية عانت منها شعوب أوروبا، وحتى الجماهير العربية بالقدر الذي عانى منها الشعب الفرنسي ذاته.. ولست بصدد إيراد التفاصيل هنا، لأن طبيعة هذا الموضوع لا تتحمل كل هذه التشعبات، فالأمر متروك لكتب التاريخ وللمتخصصين الذين فصلوا بشكل أرضى شغف القارىء والباحث على حد سواء، حين أرخوا لأوروبا وفرنسا بشكل خاص في هذه المرحلة المهمة. والذي يهمنا هو بعض المصطلحات والتسميات التي انبثقت عن الثورة الفرنسية ورافقتها، أو جاءت بعدها، كنتيجة من نتائجها خلال انطلاقتها المجيدة.

بل إن تلك المصطلحات تجاوزت أطر زمانها ومكانها وتشكلت بأطر جديدة واتسعت لمعاناً لم تحملها إبّان انطلاقتها.. وإنما حملت معاني مغايرة لأصلها في كثير من

الأحيان وهذا بالطبع واضح من كثرة الاستخدام لها الذي ما زال قائماً حتى الآن، فمثلاً البرجوازية واليسارية واليمينية، ومصطلحات أخرى انسلخت من بيئتها الحقيقية وأصبحت - فيما بعد - مفاهيم إنسانية مشتركة، وأصبح العالم بأسره مجالاً لتطبيقها والجدل حولها، كما أصبحت - أيضاً - وفي وطننا الكبير بشكل خاص، معايير ثابتة للحكم على جدية الحركات الثورية ومواقف وسلوك الأفراد.

ومن هذا المنطلق فقد عانى الشعب العربي - باعتباره من الشعوب النامية - الكثير من أكداس المصطلحات الثقيلة التي أرهقته وكادت تسحقه حين أدخلها المثقفون والتجريديون وهم يحملون ثقافة أوروبا الحديثة، فنادوا بها ولم يستطيعوا تمثلها على الوجه الأكمل.. واضطروا إلى لفظها بأسرها مع بعض التشويه.. فكان منها موقفان:

1 - الأخذ بها كلها دون تمييز كأقصر طريق يعفي من المعاناة والتعب.

2 - رفضها كلها.

وفي الحالتين لم يصدر الأخذ والرفض عن اهتمام بتلاؤمها مع تاريخنا وفكرنا أو معارضتها لهما.. ولقد ظل

فكرنا يناضل ويناضل ويتقصى المعرفة والحقيقة حتى تمكن من وضع أساس استطاع بموجبه أن يأخذ، ويرفض، منطلقاً في كل ذلك من موقف إيجابي واع، يأخذ ما يؤكد شخصيته ويكملها، ويرفض كل ما يهددها أو يشوهها.

ولعل أهم المصطلحات التي طرحت على الجماهير العربية فتشكلت منها مواقفها سلباً وإيجاباً، مصطلحا «اليسار واليمين» وما رافقهما من اختلافات.. فمن اليسار الحقيقي الذي يؤمن بالثورة وسيلة لتحقيق أهدافه إلى المدعي الذي يرى في اليسار موقفاً يؤهله لإلقاء التهم والألقاب، وحتى الشتم أحياناً وفق مفتعل، بمناسبة وبدون مناسبة - إلى المتخوف الذي يرى في اليسار شراً مستطيراً وخطراً محدقاً.

ولئن كان اليسار صفة أطلقت إبّان الثورة الفرنسية على المتطرفين الذين يتخذونَ مقاعدهم في الجانب الأيسر من المجلس الوطني، وكان اليمن صفة للمعتدلين الذين يجلسون في الجانب الأيمن من المجلس، لئن كان هذا هو الأصل التاريخي للمصطلحين، فإنهما شوها تشويهاً كبيراً بشكل قضى على معيارهما الحقيقي في زحمة المدعين ورافعي الشعارات.

أما المتخوفون فإنهم يرتكبون خطأً أفدح حين يرون في اليسار كفراً وإلحاداً وتحللاً من كل القيم الاجتماعية والإنسانية، ويرتعدون هلعاً حين تصور لهم مخيلاتهم المريضة أن القفزات الاجتماعية والاقتصادية تعود بالأضرار والارتباك على المجتمع حين يقوده اليسار.

ليس كفراً وتحللاً، كما أن اليمين ليس مثلاً وتقوى وخبزاً يعطى للجياع.. إن اليسار موقف واع من الإنسان والمجتمع، وهو رفض لكل مظاهر التخلف وشروط القهر التي تمنع الإنسان من تحقيق إنسانيته على الوجه الصحيح.. واليسار هو الإنسان الواعي وهو المناضل والثوري الذي يتخذ الثورة ـ بكل عمقها وشمولها ـ وسيلة لتصفية أي أثر من آثار الاستغلال والظلم، وبالمقابل يكون اليمين موقفاً متخاذلاً أمام قوى الاستغلال والظلم ومتواطئاً معها، حين يجد مصلحته تتجه نحو ذلك.

وكلمة أخيرة أسوقها للمضللين الذين غرقوا في خضم الشعارات.. فتشبثوا بأقربها أو أشدها بريقاً.. إن المحك الحقيقي والمعيار الذي لا يخطىء أبداً، هو العمل، وإذا كانت اليسارية تعني الثورية فإن الثوار دائماً هم يساريون، وإن اليساريين لا يمكن أن يكونوا إلا ثواراً، والثورة حين

تستهدف الجماهير المضطهدة والمسحوقة تتسع لكل المؤمنين أصحاب المصلحة فيها، فهي لا يمكن أن تكون إلا بهم ولهم، وهم وحدهم الذين يستطيعون أن يعطوها سماتها الحقيقية ويدفعوا عنها كل محاولات الالتفاف مهما كان نوعها.

وإلى المتخوفين الذين رفضوا اليسار - عن جهل - أقول: إن اليسار الحقيقي يعني الثورة وإن الثورة هي لهم، هي لجميع الكادحين وإنهم مدعوون للموقف الواعي، لكي يدركوا أن اليسار أبعد ما يكون عن التحلل، وأبعد ما يكون عن الهدم.. فهو حين يخلص الجماهير من ظلم الجشعين يسمو بها إلى الحياة الحرة الكريمة.. وفي أوار الثورة تحترق كل الأنانيات والأحقاد ولا يبقى بعد ذلك غير النفوس المرة الصافية.

قائمة المراجع

مقدمات لدراسة المجتمع العربي: هشام شرابي

التنظيم الثوري أحمد إبراهيم

حركة المقاومة كريم الشيباني

فلسفة الثورة جمال عبد الناصر

الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة.

سلسلة شروح الكتاب الأخضر.

خطب وأحاديث معمر القذافي.

ملتقيات حركة اللجان الثورية.

إن أي عمل ثوري مهما كان نوعه لا يمكن أن يحدث على الإطلاق، ما لم يكن مرتكزاً على قاعدة جماهيرية ملتزمة بالانتماء للثورة. لأن الثورة في الأصل عقيدة وانتماء، مبدأ وإيمان، تغيير للواقع المرير وتجذير لعصر الجماهير.

هذا الكتاب، محاولة للإسهام في إثراء الثقافة الثورية الجماهيرية الجديدة التي بشرت بها النظرية العالمية الثالثة، وهو يحوي بين دفتيه موضوعاً واحداً وهو الانتماء، لأنه الجوهر والأساس في سلسلة المفاهيم والقيم الثورية.



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

سرت ـ ص. ب. 921 مبرق 30098 مطبوعات ـ ناسوخ 62100 ـ 054

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى